جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الأدب العربي

مذكرة ماستر

أدب عربي
دراسات أدبية
أدب عربي قديم

رقم: ق/28

إعداد الطالب:
هنودة نرمين – مسعودي عائشة

يوم:28/06/2021

الهجاء السياسي والاجتماعي في الشعر الأندلسي

لجنة المناقشة:

سعاد طويل	أ. د.	جامعة بسكرة	رئيسا
مشقوق هنية	أ. د.	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
شهيرة زرناجي	أ. د.	جامعة بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية:2020/ 2021م

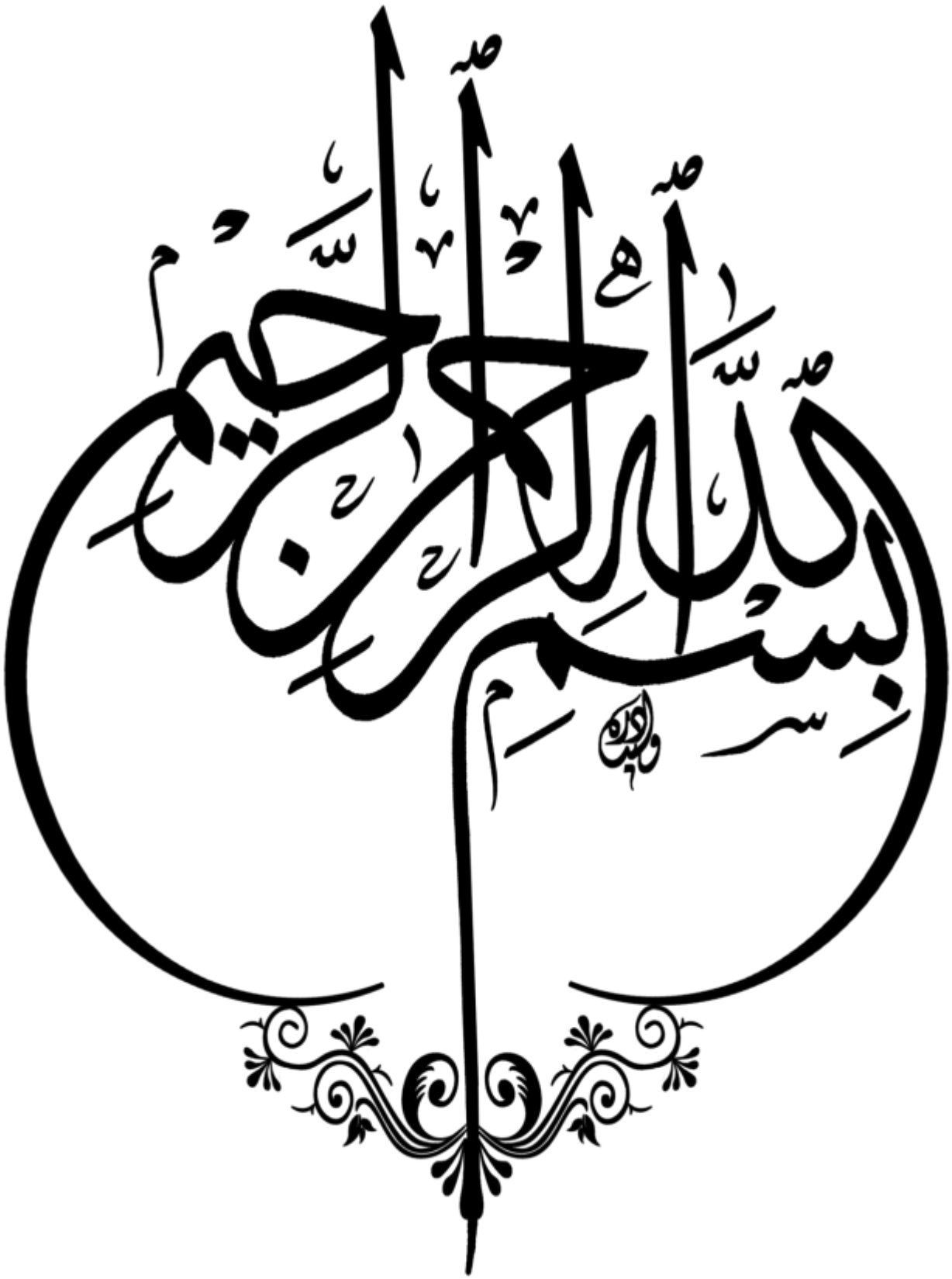
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال الرسول : << لا يشكر اللّه من لا يشكر النّاس>>

وامتثالا لقوله أنّنا نشكر اللّه على عظيم عطائه وتوفيقه لنا.

كما نتقدّم بوافر الشكر والعرفان لأستاذتنا المشرفة الدكتورة " هنية مشقوق" على المجهودات المبذولة لتصويب الأخطاء، وسعة صبرها ورحابة صدرها، واللّه أدرى وأبصر وهو خير المجازين.

مـــقـــدمـــة

مقدمة

عرف الأدب الأندلسي في العقود الأخيرة اهتماما بالغا من الباحثين العرب، ويزداد هذا الاهتمام نشاطًا ونماءً بمرور الأيام.

وقد عرفت البيئة الأندلسية عدة تغيرات أثرت على الأدب الأندلسي، واستطاعت أن تخلق أغراضا جديدة، وهذا من خلال الانحلال السياسي والاجتماعي الّذي حدث في فترة الطوائف والقرن الخامس الهجري، وهذا ما خلق غرض الهجاء في الشعر الأندلسي، ومن أهم الهجائيين الأندلسيين الشنتريني في ديوانه الذخيرة ، كما نجد ابن الكتاني في ديوان الشبهات، ولا ننسى العنصر النسوي مثل ولادة بنت المستكفي.

لذلك انطلق بحثنا من إشكاليات رئيسية تمحورت حول التساؤلات الآتية:

- ما هي العوامل المؤثرة في الهجاء السياسي والاجتماعي في الشعر الأندلسي؟
- ما مدى تأثر الاتجاهات السياسية والاجتماعية في الهجاء الأندلسي؟

وقد حاولنا في هذه الدراسة الإجابة على التساؤلات المطروحة سابقا من خلال خطة منهجية مبتدئة بمقدمة ومدخل نظري وفصلين تطبيقيين مصحوبة بخاتمة.

حيث خصصنا المدخل للمفاهيم النظرية؛ وقد تناولنا فيه تعريف الهجاء لغة واصطلاحا، ثمّ تطرقنا إلى العوامل المؤثرة في الهجاء السياسي والاجتماعي، ثمّ كشفنا على صور الهجاء الأندلسي.

أمّا الفصل التطبيقي الأول فعنون باتجاهات الهجاء الأندلسي، وحاولنا من خلال ذلك تتبع ظاهرة الهجاء السائدة في ذلك الوقت من ناحية الاتجاه السياسي تطرقنا إلى هجاء الملوك وهجاء الفقهاء وهجاء القضاة. أمّا الاجتماعي فعالجنا فيه المواضيع الآتية:

هجاء الرذائل الخلقية، وهجاء المرأة، وهجاء المدن، وهجاء الأهل والأقارب.

في حين جاء الفصل التطبيقي الثاني موسوما بالآليات الفنية المساعدة في إبراز اللّغة الشعرية في شعر الهجاء؛ ومنها الاقتباس والتضمين والتكرار وكذلك التشبيه.

وفي نهاية المبحث قدمنا أهم نتائج البحث التّي توصلنا إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع في الحوصلة، ومن أهمها أنّ الظروف السياسية والاجتماعية هي من ساهمت في تطوّر وازدهار الهجاء الأندلسي.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن نتبع المنهج الوصفي للإحاطة بجميع جوانبه متخذين من الإجراء التحليلي أداة لتحليل بعض المظاهر التّي جاءت في شعر الهجاء بهدف الإيضاح وتحقيق الغاية المنشودة.

وقد اعتمدنا في دراستنا على جملة من المصادر والمراجع التّي استندنا إليها في عملنا منها قديمة وأخرى حديثة، وهي مثبتة في آخر البحث ومن أبرزها كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني، وكتاب الشبهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني، وكذلك كتاب الهجاء في الأدب الأندلسي للدكتور فوزي عيسى.

ولا نستطيع نفي أنّ كلّ دارس يتعرض إلى صعوبات من ناحية جمع المادة العلمية، ومن أهمها ندرة المصادر والمراجع التّي تتكلّم على لهجاء السياسي والاجتماعي، حيث أنّ أغلب الكتب تكرر نفس المعلومات، وبالتالي لا يكون التنوّع في الأفكار ولا جديد في ذلك.

وفي الختام نتوجه بجزيل الشكر والامتنان لأستاذتنا الكريمة الدكتورة مشقوق هنية على مجهوداتها المبذولة في الإشراف على البحث، وأخيرا نسأل اللّه السداد فيما سجلنا، والتوفيق فيما كتبنا، فهو وحده الهادي إلى سواء الطريق.

الفصل الأول:ضبط المفاهيم

1. الهجاء مفهومه (لغة واصطلاحا)
2. العوامل المؤثرة في الهجاء السياسي والاجتماعي

يُعدُّ الهجاء من بين الأغراض الشعرية التّي شاعت في العصر الأندلسي؛ حيث تنوع بين الهجاء السياسي والاجتماعي ، وأثرت فيه بعض العوامل، وهذا ما سنتطرق إليه ف هذا الجانب.

1- مفهوم الهجاء

1-1- الهجاء لغة

ورد في معجم لسان العرب في مادة (هَجَا):

هَجَاهُ يَهْجُوهُ هَجْوًا وَتَهْجَاهُ، مَمْدُود: شتمة يالشعر وهو خلاف المدح.

هَجَأَ: هَجِيء الرجل، هَجَأَ: اِلْتَهَبَ جُوعُهُ.

هَجَأَ جُوعُهُ، هَجَأَ وَهَجُوءًا: سكن وذهب.

هَجَأَ غَرْثِي يَهْجَأُ هِجْأً: سكن وذهب وانقطع.

هَجَأَهُ الطعام بِهُجُؤه هَجأ: ملأه، هجأ الطعام: أكله.

أهجأ الطعام غَرَثِي: سَكَنَهُ وقطعه، إهجاء: قال

فَأَخْأُهُم رَبِّيظن ودَلَّ عَلَيْهُمِ وَأَطْعَمَهُمْ مْنْ مَطْعَمِ غَيْرِ مُهْجِئ

هَجَأَ الْإِبِلُ وَالْغَنَمُ أَوْ أَهْجَأَهَا كَفَّهَا لِتَرْعَى.

الْهِجَاءُ/ ممدودة: تهجئة الحرف، وتهجأت الحرف.

تهجيته: بهمز وتبديل، أبو العباس:

الهجأ: يقصر ويهمز وهو كلّ ما كنت فيه. فانقطع عنك.

ومن قول بشار:

قَضَيْتُ مِنْ وَرَقِ الشَّبَابِ هَجَا مِنْ كُلِّ أَخُو رَاجع قَصُّهْ.

أَهْجَأَتْهُ حقه وأَهْجَيْتُهُ حقّه إِذَا إِلَيْه. [1].

كما جاء في معجم الوسيط: هجا الكتاب هجوا وهجاء: قرأه وتعلّمه، وفلان هجوا.

وهجاء: ذمه وعدد معايبه، ويقال المرأة تهجو صحبة زوجها.

(يهجو): اليوم: هجاوة: اشتدّ حره.

(أهجأ): القول أو الشعر: وجده هجاءا.

(هجى): مهاجاة: هجاءا: هجا كلّ واحد منهما صاحبه.

(هجي): الصّبي الكتاب، علّمه إياه.[2].

(1)- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج15، ط4، 2005، ص21.

(2)- إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النّجار، قاموا بإخراج، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، ج1، د. ط، ص275 .

1- 2- الهجاء اصطلاحا

إنّ " الهجاء أدب غنائي يصور عاطفة الغضب والاحتقار والاستهزاء، اقترن بأناشيدهم الدينية الأولى التّي كانوا يتهجون بها إلى الآلهة" [1].

والهجاء ضدّ المدح، وهوفن يلجأ إليه الشاعر إذا هاجم فردا أو جماعة، فالهجاء فن الكره والبغض والاحتقار، إذا يصب فيه الشعر جميع ما يراه من معايب على من يهجوه.

والهجاء نزعة طبيعية في الإنسان ما دامت عاطفته تتراوح بين الرضا والارتياح فيمدح والغضب والاستياء فيهجو.

ويُركّز الشاعر الهاجي على الصفحات المذمومة يهجو خصمه فيختار خصمه، ويختار الصفات والألفاظ التّي تهز كيان الخصم، وتجعله شخصا ذليلا بين أفراد المجتمع وهو أقوى من ذلك [2].

والهجاء فن قديم في الأدب العربي، ولكنّه تطوّر كثيرا من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، ونفس الشيء في الأندلس، فقد شهد تطورًا في معانيه وألفاظه وصوره.

كان الهجاء عند الشّريق الرضى ليعبر عن ألمه حول تصرف فرد أو سلوك جماعة يتعارض مع تفكيره وميوله، وليس ليهج عن أذى خصومه الأحيان، ويبتعد عن الكشف عن عيوبهم.

وَإِنِّي إِذَا أَبْدَى العَدُوُّ السَّفَاهَةَ

حَبِسَت عَنِ العَوْرَاءِ فَضْلَ لِسَانِيَا

(1)- سامي يوسف أبو زيد، الأدب الجاهلي، دار المسيرة للتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2011م- 1432هـ.

(2)- ينظر: سامي يوسف أبو زيد ومنذر ذيب ثقافي، الأدب الجاهلي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص37.

وَكَانَتْ إِذَا التَاتُ الصَّدِيقَ قَطَعَتْهُ

وَإِنْ كَانَ يَوْمًا رَائِحًا كُنْتُ غَادِيًا.

فلم يفحش في القول، ولم يفتح الأغراض، ولم يتعرض في الجسديّة. (1).

أمّا الهجاء عند ابن الرومي ليس كغيره من الشعراء، رغبة في الارتزاق أو الاعتداء أو تحقيقا لمصلحة شخصية أو مصلحة سياسية، ولم يهج بغية التسلية بالسباب والشتائم، بل هجا تنفيسا عن كربة، وترويحا عن نفسه المتعبة وثأر ألحقه المجحف أو لإحساسه المتأذي أو نفورا من البشاعة، فكان الهجاء عند سلاح دفاع لا سلاح هجوم (2).

(1)- حسن جعفر نور الدين، الشريف الرضى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411هـ/ 1990م، ص116.

(2)- جروج عبد ومعتوق، ابن الرومي، بيروت، دار الكتاب، لبنان، ص141.

2- العوامل المؤثرة في الهجاء السياسي:

وعلى نحو ما وجد الهجاء في الشعر المشرقي، وجد كذلك في الشعر الأندلسي وقد رشحت لوجوده عوامل شتى نجملها فيما يلي:

2-1- العوامل السياسية

إنّ المنتج للأحداث التاريخية في الأندلس يشعر أنّ الأندلسيين لم يقدر لهم الاستمتاع بحياة سياسية مستقرة، فعهد الولاة عهدا مضربا قامت فيه من ناحية ثورات البرابرة ضدّ العرب، واستحكم الشقاق والتنافس من ناحية أخرى بين مختلف الولاة القادمين من الشرق، وانتقلت معهم العصبية القبلية، وبدأ نزاعها ظاهرا بين القيسية واليمنية [1].

وأخذت عوامل الضعف والانقسام تدب في كيان المجتمع الأندلسي، ففي أواخر حكم الأمويين ابتليت الأندلس بخلفاء ضعفاء، وسرعان ما أضحت البلاد نمبا لفتنة عانية قضت على الخلافة الأموية، ومزقت وحدة الأندلس، فانقسمت إلى دويلات يستثأر بكلّ واحدة منها حاكم أو أمير، وأنفق أمراء الطوائف أموالا طائلة في تشييد الحصون لحماية ملكهم، وانساقوا وراء مصالحهم الذاتية، حتى انتهى بهم الأمر إلى أن يدفعوا صاغرين الجزية للروم، وأدارت رحى الحرب فيما بينهم، واستعانوا بالروم في حل خلافاتهم بل إنّ بعضهم تحالف مع الروم ضدّ جيرانه من المسلمين، وبعد أن دالت دولة الطوائف خضعت الأندلس لحكم الأفارقة، وأصبحت تابعة لا متبوعة، وفي أواخر عصر الموحدين أخذت المدن الأندلسيّة تتهاوى في يد الاسبان مدينة إثر أخرى، ولم يبق سوى غرناطة وبعض الحصون التّي ظلّت تقاوم ردحا من الزّمن إلى أن سقطت في آخر الأمر مؤذنة بأفول شمس الإسلام عن الأندلس.

(1)- ينظر: فوزي عيسى، هجاء في الأدب السياسي، دار الوفاء، للدنيا والطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007، ص16.

ولم يقف شعراء الأندلس موقفا سلبيا إزاء هذه الأحداث، وإنّما ارتفعت أصواتهم تندّد بسياسة حكام الأندلس، وينتقد تصرفاتهم واتهمهم بالخزي.

كان مطلع القرن الخامس الهجري، ينبئ بتغيّرات سياسيّة خطيرة على الخارطة السياسية الأندلسيّة، نظرًا لما شهده هذا القرن من صراع وتطاحن واضطراب في الأحوال السياسية، وقد أطلق عليه المؤرخون عهد الفتنة (399- 422هـ)، ووصفها ابن حيان بالمبيرة والجائحة، ونجم عن ذلك أقوال نجم الخلافة في الأندلس وغياب سلطانها، فلقد تتابعت الأحداث بصورة سريعة، وأطيح بأكثر من رأس من الأمويين، منهم هشام المؤيد الذّي قتل سرا في سنة (403)[1].

بعدها نمى شعور جديد داخل الأندلس تمثل في عزلة العاصمة القرطبية عن سائر مدن الأندلس، فضلا عن حب السيطرة والتوسع على حساب الآخرين، وقد أورد ابن عذارى المراكشي صورا لهذا الصراع وتكلّم عن الحرب التّي دارت بين أهل قرطبة سنة 414هـ، ((التّي آلت إلى خلع القاسم بن حمود، ولم تكن هذه الحرب متكافئة، حيث بلغ تعداد البربر الآلاف، إلاّ أنّ أهل قرطبة بثباتهم استطاعوا كسب المعركة ومني البربر بهزيمة عظيمة)) [2].

((ولقد فشلت الحكومات القرطبية في فترة الفتنة في توجيه السياسة الاقتصادية للبلاد وجهة تجلب الاستقرار والاطمئنان والرخاء الاقتصادي، كما كانت في ظلّ الخلافة والحجابة))[3]، ممّا زاد الخلافة هوان ولهذا ظلّت الخلافة الأموية تنازع الزوال

(1)- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 113/3، تحقيق ومراجعة ج، س، كولانوا، ليفي بروفينسال، بيروت، ط2، 1980.

(2)- المرجع نفسه، ص134/3.

(3)-محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي -الخامس الهجري- الحيلة الاقتصادية والاجتماعية، ط1، تونس،1984، ص32.

بسبب....((ما تعرضت له من الحروب والفتن، واستمرت أكثر من عشرين عامًا...)) [1].

وهذا ما أدى بأهل قرطبة أن يعلنوا إلغاء الخلافة سنة 422هـ[2]، ولم يكن إلغاؤها أمرا يسير النتائج، وإنّما كان ضربة لم تنهض الأندلس من آثارها قط، بل كان بذاته الانحلال الطويل الذّي لبثت تتقلب فيه زهاء أربعة قرون أخرى[3].

بعد أن سقطت الخلافة تفرقت الدولة العربية الإسلامية التّي أقام بنيانها عبد الرحمان الثالث، وخرجت من هذه الفتن والحروب، ونفرط عقدها حبات متناثرة إلى نحو ما يزيد عن عشرين مملكة، مع أنّ بعض هذه الممالك فقدت تماسكها وسقطت وسط العواصف، ولم تقدر على الدفاع على نفسها فابتلعها جيرانها وأصبحت خاضعة لمملكة أخرى قبل أن تترك في الأدب [4].

ودام عصر الطّوائف قرابة ثمانين عاما [5]، وامتد عمر بعض الدويلات طويلا حتى بلغ قرنا من الزمن؛ أي أنّ بعضها لم يخضع لسلطان المرابطين.

وتوزعت دويلات الطوائف من النّاحية الإقليمية إلى عدة مناطق هي: [6]

قرطبة وما جاورها من المدن والمناطق الوسطى، واشبيلية وما يلحق بها مناطق غرب الأندلس وبطليوس، وغرناطة زوبلنسية، وما يلحق بها من المناطق شرق الأندلس، وسرقسطة أو الثغر الأعلى، وطليطلة أو الثغر الأوسط، ودانية وجزر البليار.

(1)- محمد عبد الوهاب الخلاق، المرجع السابق، ص83.

(2)- ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الذخيرة، تح: إحسان عباس، بيروت، ط1، 1979، ص62.

(3)- محمد عبد الله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،القاهرة، ط1، 1960، ص403.

(4)- الأستاذ بن أحمد بلا فريح وعبد الجليل خليفة، الأدب الأندلسي، تطوان، 1941، ص54- 55.

(5)- دول الطوائف، ص402.

(6)- خليل إبراهيم السمرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، جامعة الموصل، 1986، ص219.

والمهانة، كما عبّر الشعر عن الصراعات القبلية والعاوي الشعوبية، كما سنرى في حديثنا عن الهجاء السياسي الذّي شهد تطورًا كبيرًا عند الأندلس في معانيه وألفاظه وصوره، زمن الفتنة وعهد الطوائف يحكم تغيّر الدوافع إليه وتطوّر الذوق العام، إلاّ أنّ الأندلس قد سيطرت عليهم النزعة الخلقية، والاتجاه المحافظ على النقد الأندلسي، فنقروا من الهجاء، وصانوا كتبهم منه ولم يستجيروا روايته، ممّا حجب عنّا كثيرا ممّا قيل فيه، فهذا ابن حزم يرى أنّه ينبغي أن يتجنّب من الشعر الهجاء[1]، وتحكمت نزعة المحافظة نفسها في نظرة ابن بسام للهجاء، فهو يصرح بأنّه صان كتابه الذخيرة (عن شين الهجاء)[2]، ولكن في نفس الوقت يؤثر الهداء الذّي يميل إلى التعريض والتّلميح بدليل أنّه يورد أبياتا يصفها بأنّها (من مليح التعريض)[3] لا ضرورة لذكرها لأنّها لا تتعلّق بهذا الموضوع.

وكان عبد الواحد المراكشي ممن أقصوا الهجاء من مؤلفاتهم[4]، غير أنّ هذه النزعة لن تمنع من رواج شعر الهجاء، وامتدّ إلى النساء فلهجن به فولادة لها إشعار باغلة البذاءة والفحش[5]. كما أنّ العوامل التّي أدّت إلى ذيوعه كانت أقوى من هذه النزعة منها المجتمع الأندلسي بتكوينه السياسي والاجتماعي والحضاري، كان مهيئا لتقبل الهجاء، ورغم صيانة النقاد كتبهم من الهجاء لما فيه من إقذاع وفحش، كما سنرى- إلاّ أنّه كان يحفظ ويدرس في جميع بلاد المغرب والأندلس[6].

(1)- عيسى فوزي سعد الهجاء من الأدب الأندلسي، دار المعارف، مصر، ص24، نقلا عن ابن حزم، رسائل ابن حزم (رسالة مراتب العلوم)، ص65- 67.

(2)-ابن بسام، الذخيرة، تح: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ج1، ق1، ط1، 1979، ص545.

(3)- المرجع نفسه، ص 5444، 546.

(4)- محمد سعيد العريان، ص373- 374.

(5)- المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج4، ص205، 206.

(6)- أنظر: المراكشي، المعجب، ص370- 374.

ومن خلال الهجاء الأندلسي تطلعنا إلى عدة اتجاهات لهذا الفن، وفيما يلي ذكر لبعض نماذج ما قيل فيه.

لعلّ موضوعات الهجاء البارزة زمن الفتنة وعهد الطوائف، وجود الهجاء السياسي والاجتماعي، ولكنّنا سنركز على الهجاء السياسي، اعتمادا على القصائد والمقطوعات التّي عثرنا عليها في المصادر التاريخية والأدبية التّي اهتمت بالشعر والنثر.

ويُعرّف فوزي عيسى الشعر السياسي بقوله: ((الهجاء السياسي هو كلّ ما يتصل بشؤون الحكم وأمور السياسة، وفيه يصدر الشاعر عن عصبية للوط أو الإقليم أو القبيلة أو الحزن أو الدين))[1].

بهذا التعريف للهجاء واستقراء القصائد والمقطوعات الشعرية التّي تتصل بهذا الفن يتضح لنا أنّه هو أكثر الاتجاهات رواجا في الأندلس، في القرن الخامس الهجري، وقد تباينت صوره، إذ توزعت بين هجاء الخلفاء والحجاب والوزراء والقضاة والعناصر البشيرة المكونّة للمجتمع الأندلسي.

والملاحظ أنّ أغلب النصوص الشعرية لا تنسب إلى قائل بعينه، وذلك خشية الشعراء من بطش الحكام بصفة عامة.

رغم تشدد الحكام اتجاه شعراء الهجاء السياسي إلاّ أنّه لم يؤد إلى تكميم أفواههم وإسكات ألسنتهم عن المجاهرة عن مساوئهم ومطالبهم، فعبّروا عن صيغتهم بهم، وكشفوا عن أوجه الفساد في سياستهم وتشبثهم بكرسي الحكم على حساب مصالح الرعية.

وفي القرن الخامس نجد بعض شعرائه قد هاجموا سياسة حكام الفتنة، وملوك الطوائف، وانتقدوا تصرفاتهم، وكان الهجاء السياسي- كما سبق- من الموضوعات التّي برزت في هذا القرن، وكان ذلك نتيجة لعد سلامة الوضع وترديه. ووضع كهذا من شأنه

(1)- عيسى فوزي سعد، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص37.

أن يثير بعض الشعراء وينطقهم بما يعبر عن سخط الساخطين وتبرم المتبرمين[1] ومن ذلك قول بعضهم في الخلفاء وملوك الطوائف.

(1)- ينظر: هيكل أحمد، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، مصر، ص280.

العوامل الاجتماعية

إنّ إطلاق تسمية (الأندلسيين) على المجتمع الأندلسي هي التسمية الصحيحة، لأنّه يصعب علينا التمييز الدقيق بين تلك الأجناس الكثيرة لكون مجتمعنا معقدًا في التربية الاجتماعية، وقد ((تواترت على تعقيده جملة أمور تعزى إلى كثرة أجناسه وتعدد أصنافه، فقد ضمّ السكان الأصليين بأصولهم المختلفة، الذّين سموا بعد الفتح بـ ((المعاهدة)) أو ((المعاهدون)) من اليهود والنصارى، ومن اعتنق الإسلام منهم يسمى بـ ((الأسالمة)) أو((المسالمة)) وأبنائهم ((المولدون))، ضمّ المجتمع الأندلسي كذلك((الصقالبة)) الذّين يؤتى بهم من مختلف البلاد لإفرنجية أطفالاً وذكورًا وإناثًا، ويرجون برعاية الدولة، وأمّا ((الفاتحون)) فمن عرب يمنية وأخرى قيسية، وبربر في شمال إفريقيا))[1].

ويرى أحد الباحثين أنّ التكوين المعقد للمجتمع الأندلسي ليضعنا أمام مشكلات مهمة صعبة الحل، فقد جاء العرب ومن معهم إلى بلاد الأندلس واستوطنوها، وعلى الرغم من قلتهم فإنّهم لم يفقدوا مميزاتهم الخاصة بهم، لذلك نراهم يشيّدون حضارة تعد جزءًا لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية فأضحت قرطبة خلال قرون طويلة، المركز الثاني للحضارة الإسلامية بعد بغداد[2].

إنّ هذه التربية المعقدة للمجتمع الأندلسي أو ورثت ما يعرف بالانحلال الاجتماعي، الذّي اختلف الباحثون في أسبابه، فمنهم من يقول فيه: ((وكان هذا التّفكك الاجتماعي العنصري نتيجة طبيعة الانحلال السياسي الذّي أصيبت به الأندلس بعد سقوط الخلافة، فانحاز الصقالبة إلى شرق الأندلس وبقيّ الأندلسيون ((الزعماء العرب))

(1)- محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص114.

(2)- صلاح خالص، المرجع السابق، ص115.

مسيطرين على جزء كبير من غرب الأندلس، أمّا البربر فاجتمعوا في الجنوب الشرقي شبه الجزيرة))[1].

وهكذا كانت حياة الإنسان الأندلسي تتأثر بكل مظاهر الجديدة التّي امتازت بالقلق والاضطراب والتنقل بين قوة والضعف والرخاء والضيق والعزة والهوان، وقد أشار أحد الباحثين إلى ظاهرة التّي كانت من نتائجها إصابة المجتمع الأندلسي متحركة كانت أحيانا

تخل من موزاته وتتحرك في آثاره النفسية العميقة، وهذا أثر على شعرائهم بعد المشاكل السياسية والاجتماعية التّي طرأت على المجتمع، فإذا قرأت ما نظمه الأندلسيون من أشعارهم في الزهد والتصرف، أوقفت على جهودهم في الفقه والعلوم الدينية، خيّل إليك أنّ المجتمع الأندلسي بالحدة والتطرف في نظرتهم للأشياء، فقد وجدت ببيئات الفقهاء والزهاد الذّين كانوا يأخذون بالأشد في كلّ حكم من الأحكام المتصلّة بأمور الدين، كما وجدت معها بيئات أخرى مالت إلى التساهل والتحرر فصار فيها المحظور مباحا، وأصبح غبر المألوف مألوفا، وأسرف كثير من النّاس في سلوكهم الاجتماعي، وعاش بعضهم حياة لاهية صاخبة وانساق كثير من الحكام وراء هذا التّيار العابث، فوصف أحدهم بأنّه كان " يتعس في لذاته ويقيم في ذلك مصطبغا ومغتبقا" ووصف آخر بأنّه كان " يركن إلى ملذاته ولا يعنيه شيء من أمور مملكته، وظهرت مناكر كثيرة في المجتمع الأندلسي، وفي " نفح الطّيب" أشارت كثيرة إلى ضروب التّحلل والفساد ولا سيّما ما كان يحدث في وادي اشبيلية، "فقد سعد هذا الواد في كونه لا يخلو من مسرة، وأنّ جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر، لا ناه ذلك ولا متقد[2].

(1)- يونس طركي سلوم البجاري، المعارضات في الشعر الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص22، ص23.

(2)- فوزي عيسى، الهجاء في الأدب السياسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2002، ص17.

وقد أفاض الشعراء في صف ما كان يدور في مجالس الخمر من تهتك وعبث، وانتشر تيار المجون، وكثرت عصب المجان من الشعراء الذّين كانوا يتحللون في حياتهم من قيد، فيرتكبون المآثم في غير مورابه، ويدعون إلى اللّذة والمجون جهرًا، وينادون بالزندقة، ويدعون إلى اعتناق الخمر وتقديسها"[1].

وتمتعت المرأة الأندلسية بحريّة كبيرة حتى لقد هجت بعض شعراء الأندلس مثل نزهون الغرناطية، وولادة شعراء في الهجاء بالغة البناءة والفحش، وكان من الطبيعي أن يزدهر الهجاء في هذا المناخ الاجتماعي، فكثر السباب والملاحاة وانتقاد بعض المظاهر الاجتماعية الفاسدة[2].

(1)- فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص18.

(2)- المرجع نفسه، ص18.

صور الهجاء الأندلسي

إذا كانت الصورة من العناصر العامة التي تقوم عليها القصيدة، فإنها تعتبر أهم العناصر التي تقوم عليها قصيدة الهجاء، ويمكن أن نجعل أهم خصائص صور الهجاء الاندلسي في النقاط التالية:

1- التأثر بالبيئة

استوحى الهجاءون كثيرا من صورهم التي عاشوا فيها على اختلاف مظاهرها وتنوع مشاهدها، فأثر البيئة المسيحية يتضح في الصورة التي يرسمها أبو إسحاق الإلبيري الثرثارين، وفيها لسانه بجرس أو بناقوس يرن في إحدى البيع: [1]

ولَقَدْ عَجِبْتُ لِمُؤْمِنٍ فِي شَدْقِهِ جَرَسٌ كَنَاقُوسٍ يَبِيعُهُ كَافِرٌ

ويبدو أثر البيئة الحربية واضحة في قول الغزال يهجوا امرأة فيشبه صلعتها ببيضة المحارب التي تلمع بين صلال السيوف: [2]

كَأَنَّهَا بَيْضَةُ الشّارِي إِذَا بَرِقَتْ بِالمَازِق الضَنْكِ بَيْنَ الْمُشَرْفِيَات

ويبدو هذا الأثر في قول ابن سارة في هجاء شخص قبيح الفم والثنايا فيشبه أسنانه بحد السيف:[3]

يَبْدُو لِطَرَفِكَ مِنْهَا حِينَ تُبْصِرُهَا سنٌ كَمَثَّلٌ مِنَ الصَّيْقَلِ الفَرْدِ.

(1)- أبي إسحاق الألبيري، ديوان، تح: محمد رضوان الداية، بيروت، 1976، ص 80.

(2)- محمد صالح البنداق، يحيي ابن الحكم الغزال، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979، ص185.

(3)- ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مرجع سابق، ص2/2/845.

ويستوحي المنفتل صورة البيئة الاندلسية بما فيها من صقيع وزمهرير فيقول في هجائه لابن ميمون الفراء: [1]

لِابْنِ مَيْمُونٍ قُرَيْض زَمْهَرِيرث الْبَرْدِ فِيهِ

فَإِذَا بِيتَ بَيْتًا نَفَقَتْ سُوقُ أَبِيهِ.

واستوحى الشعراء صورهم من واقع حياتهم ومما تحفل به معيشتهم من مظاهر وعادات وتقاليد، فابن هندي يشبه تهدل أنه ابن قزمان بالقدوم فيقول: [2]

يُقَرِّبُ وَجْهًا مِنْكَ فِي خَلْقِ قِربة كَانَ تِهْدَالُ الأَنْفِ مِنْهُ القُدُومُ

ويشبه ابن وهيب أنف أحد الأشخاص بعود المستراح كما يشبه وجهه في قبحه وشؤمه بإقبال الرزايا: [3]

وَوَجْهٌ مِثْلَ إِقْبَالِ الرَّزَايَا وَأَنْفٌ مِثْلَ عُودُ الْمُسْتَرَاحِ

ويستند جعفر بن ابراهيم اللورقي إحدى صور من عادة انتشرت بين الناس ليصبح أكثر توهجا وإضاءة فيقول في أحد أصدقائه: [4]

هُوَ السُّمُ الزُعَافُ لِشَارِبَيْهِ وإن اَبْدَى لَكَ الأَرَى المِشْوَارَا

ويَسَعُنِي أَذَا فَأَزِيدُ حُلُمًا كَمَا جَدَّ الذِبَالُ فَزَادَ نُورَا

(1)- المرجع السابق، 1/2/760.

(2)- ابن الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تح: احسان عباس، دار الشروق، بيروت، 1981، ص249.

(3)- المرجع نفسه، ص249.

(4)- العماد الأصفهاني، جريدة القصر وجريدة العصر، تح: محمد المرزوقي وآخرين، تونس 1983/1981، ص 2/145.

ويستعرض ابن خفاجة إحدى صور من أحد الأمراض الشائعة في عصره وهو مرض(الفالج) فيقول في ذم خط واستبراد شعر: [1]

لحل الله أَبْيَاتٌ بُعِثَتْ ذَمِيمَةٌ فَلَوْ كُنَّ أَعْضَاءٌ لَكُنَّ مَخَارِجًا

مُعْوِيَة أَسْطَارُهَا وَحُرُوفُهُا كَأَنَّ بِهَا مِنْ بَرْدِ لَفْظِكَ فَالِجَا

ويلتفت الغزال في هجائه لأحد البخلاء إلى عادة نزع الضرس التي يمارسها الحجام فيقول: [2]

فَلَمْ يُعْطِنِي مِنْ مَالَهُ غَيْرَ دِرْهَمٍ تُكَلِّفَهُ بَعْدَ اِنْقِطَاعِ رَجَائِي

كَمَا اِقْتَلَعَ الحَجَّامُ ضِرْسًا صَحِيحَا إِذَا اِسْتُخْرِجَتْ مِنْ شده بِبُكَاءٍ.

2- التأثر بالثقافات الجديدة

تسللت أنماط الثقافات والعلوم الجديدة إلى صور الهجاء، تقول أحدهم في هجاء مغنية: [3]

كَأَنَّهَا وَالعُودُ فِي حِجْرِهَا حَاسِبَةٌ تنبى بِمَجْدُور

ويسخر ابن عبد ربه من مائدة أحد البخلاء فيشبهها بالنقطة التي يلتف حولها المدعوون في دائرة:[4]

وَمَائِدَة جِسْمُهَا لُطفه يَدُلُّ عَلَى صَفْقَةٍ خَاسِرَةٍ

فَتِلْكَ لِنَاقِدٍ غَدَتْ نُقْطَة وتحت عليها نرى دائرة.

---

(1)- المرجع السابق، ص 353.

(2)- ابن الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص40.

(3)- المرجع نفسه، ص246.

(4)- المرجع نفسه، ص246.

3- التأثر بالمورث القديم

استوحى بعض الهجائيين صورهم من التراث القديم كصورة الطلل والرسوم التي استحضرها سليمان بن عبد الله البردي في قوله

كَأَنَّ مُرَجِيه الْمُؤَمّل وَاقِفٌ عَلَى طَلَلٍ مِنْ سَاكِنِي الْحَيِّ باند

يُسَائِلُ مِنْهُ صَامِتًا غَيْرَ نَاطِقٍ كَمُسْتَجِيرٍ جَهْلًا رُسُومَ الْمَعَاهِدِ.

وأكثر بعض الشعراء من تجسيد الصور والتشبهات القديمة كقول ابن حربون: [1]

فَمَزَقتهم شملهم في البلاد كأنهم جمل اجرب.

ويشيه الغزال كاهل امرأة بسنام العين الذي أصابه الهزال من كثرة السفر والترحال –وهي صورة قديمة– فيقول: [2]

وكاهل كسنام العين جرده طول السفار والحاح القتودات.

(1)– ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة على المستضعفين، تحقيق د عبد الهادي التازي، بيروت، 1954، ص 361.

(2)– محمد صالح البنداق، يحيي ابن الحكم الغزال، ص 185.

4- الصور المعنوية

واستمر بعض الشعراء أدق صورهم من الأوصاف المعنوية، ولهم في ذلك صورة جيدة كقول ابن عبادة في رجل قصير القامة: (1)

وصاحب لي كان قامته أقصر من يوم وصل ومعشوقي.

ويقول الإدريسي بن النيمان العبدري في لحية طويلة عريضة: (2)

لو أنها دون السماء سحابة لم تحترق هذا دعوه المظلوم.

ونتطرّق في الهجاء الأندلسي على كثير من الصور التي تتسم بالغرابة والطرافة كقول ابن بليطة في ساق إحدى أسود اللون: (3)

وإذَا أَسْعَى بِالْكَأْسِ تُحِبُّهُ جَعَلَا يُدَحْرِجُ فَصَّ يَاقُوتِهِ

وَكَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي يَدِهِ نَجْمٌ رَمَى فِي الْجَوِّ عِفْرِيتَهُ.

وعلى هذا النحو تراوحت صور الهجاء الأندلسي بين الطرافة والإغراب والميل إلى الإقناع والتأثر بالبيئة والاتكاء على التراث الدالديني والموروث القديم والجديد.

(1)- ابن الكتاني، التشبيهات، ص248.

(2)- ابن سعيد، المغرب في حلة المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ص1/400.

(3)- ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 1/3/796.

الفصل الثاني: اتجاهات الهجاء الأندلسي

1- اتجاهات الهجاء السياسي الأندلسي

1-1- هجاء الملوك

1-2- هجاء الحكام

1-3- هجاء الفقهاء

2- اتجاهات الهجاء الاجتماعي الأندلسي

2- 1 هجاء الرذائل الخلقية

2- 2 هجاء المرأة

2- 3 هجاء المدن

2- 4 هجاء الأهل والأقارب

اتجاهات الهجاء الأندلسي

1. الهجاء السياسي

1-1 هجاء الملوك

نجد أنّ الاتجاه السياسي هو أكثر الاتجاهات رواجا في الأندلس، ومن الملاحظ أنّ أغلب النصوص الشعرية لا تنسب إلى قائل بعينه، وذلك خشية الشعراء من بطش الحكام بصفة عامة[1].

هجاء الخلفاء وملوك الطوائف

شاع هذا اللّون من الهجاء في الأندلس، زمن الفتنة والدولة العامرية وزمن الطوائف ما وجهة الشعراء من نقد الخليفة المهدي[2] الّذي أظهر من الخلافة والفسق ما حدا بالشعراء إلى هجائه:

أَمِيرُ النَّاسِ سخنة كلّ عين ببيت اللّيل بين مخنثين.

يَجْشُمُ ذَا وَيُلْثُمُ حَدَّ ذَا ويسكر كُلَّ يَوْمٍ سَكْرَتَيْنِ.

لَقَدْ وَلَوْا خِلَافَتَهُمْ سَفِيهًا ضَعِيفَ الْعَقْلِ شَيْئًا غَيْرَ زَيْنٍ[3].

ويُشير ابن عذارى إلى أنّ المهدي كان أكثر خلفاء بني أميّة عرضة لهجاء الشعراء وانتقادًا لتصرّفاته، فيقول: ((وقيل فيه كثير من هذا يطول الكتاب به))[4].

---

(1)- انظر: ابن حزم- رسائله، تح: إحسان عباس المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980، ج2، ص196، 197 .

(2)- ابن عذارى، البيان المغرب، تح: حبيب مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1963، ص80.

(3)- المرجع نفسه، ص80.

(4)- ملرجع سابق، ص80.

وممّا قيل فيه أيضا:[1]

أَشْأَمُ خَلْقٍ عَلَى الْعِبَادِ والنَّاسُ مِنْ حَاضِرٍ وَمِنْ بَادِ.

أبُو الوليد الّذي اقْشَعَرَتْ لِنَحْسِهِ شَعْرَةُ الْبِلَادِ.

كَانَ عَلَى قَوْمِهِ جَمِيعًا مَزَار عَاد لِقَوْمِ عاد[2].

ويُرى أنّ اختلال الأوضاع السياسية كان من أكبر العوامل التّي وجهت الشعراء إلى هجاء ملوك الطوائف، فقد غضب الشعراء لما أصاب الأندلس من ضعف وتفكك وانحلال[3].

وممّا ينسب لابن رشيق القيرواني في هجاء بني عباد، وذيك في تهاتفهم على ألقاب خلفاء بني العباس، فكان منهم المعتضد والمعتمد، قوله:

مِمَّا يُزْهِدُني في أرْضِ أَنْدَلُس أسمَاءَ مُعْتَضَدٌ فِيهَا وَمُعْتَمَدُ.

أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالْهِرِّ يَحْكِي اِنْتِفَاخًا صَورَة.

وتُعدّ قصيدة الهجاء المنسوبة إلى ابن عمار أكول ما وصلنا في هجاء بني عباد وأكثرهم إقذاعا وإسفاقا، والذي يجعل محمد مجيد السعيد يشك في نسبتها إليه أمور كثيرة، منها ما تقدّم الحديث عن ابن زيدون، مع حساده وأعدائه، ولا يُستبعد صدور هذه القصيدة عنهم ونسبتها لابن عمار لأجل الإيقاع بين الملك ووزيره[4].

(1)- الأمير عبد اللّه، كتاب البيان، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1955، ص69، 70.

(2)- السعيد محمد مجيد، الشعر في ظل بني عبادة، مطبعة النعمان، العراق، ط1، 1972، ص199.

(3)- ابن بسام، الذخيرة، تح: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط1، 1974، ص12.

(4)- ابن عمار الأندلسي، شعره، أنظر، تر: الضبي، البنية، ص88، 89.

وثمّ إنّ ابن بسام حين ثبت القصيدة، قال: ((نسب شعر كثير إلى ابن عمار، فيه قدح في المعتمد وله وذويه وعياله[1].، وفيها يقول:

ألا حيّ بالضَرْبِ حيًا حِلاَلَا أنَاخُوا جِمَالاً وحَازُوا جَمالا.

وعرِّجْ بيَوْمَيْنِ أُمُّ الْقُرَى وَنَمْ فَعَسَى أَنْ تَرَاهَا خَيَالَا.

لِتَسْأَلَ عَنْ سَاكِنِيهَا الرَّمَا دَ وَلَمْ تَرَ للنَّارِ فِيهَا اشْتِعَالَا.

أَيَا فَارِسَ الْخَيْلِ يَا زَيْدَهَا حَمَيْتَ الْحِمَى وَأَبَحْتَ الْعِيَالاَ.

أرَاكَ تُورَى بِحُبِّ النِّسَا ءِ وَقَدَمَا عَهْدِكَ تَهْوَى الرِّجَالَا.

تَخَيَرْتَهَا مِنْ بَنَاتِ الْهِجَا نِ رُمَيْكِيّة مَا تَسَاوَى عِقَالاَ.

فَجَاءَتْ بِكُلِّ قَصِيرِ الْعَذَا رِ لَئِيمُ النَّجَارِينَ عَمًا وَخَالَا.

بِصَفْرِ الوُجُوهِ كَأَنَّ أُنْسَتَهَا رَمَاهُمْ فَجَاءُوا حَيَارَى كُسَالَى.

قِصَارِ الْقُدُودِ وَلَكِنَّهُمْ أَقَامُوا عَلَيْهَا قُرُونًا طِوَالَا.

أَتَذَكَّرُ أَيَامَنَا فِي الصِبَا وَأَنْتَ إِذَا لُحْتَ كُنْتَ الْهِلَالاَ.

أُعَانِقُ مِنْكَ الْقَضِيب الرَّطِي بِ وَأَرْشُفُ مَنْ فِيكَ مَاءً زُلَالاَ.

سَأَكْشِفُ عِرضِك شَيْئًا فَشَيْ ئًا وأَهْتِكُ سِتْرَكَ حَالاً فَحَالاَ [2].

فالباحث يُؤكّد عدم صحة نسبتها لابن عمار. اعتمادًا على رواية ابن بسام، لابن عمار الذّي كان له حساد ومنافسون كثيرون لا يُستبعد صدورها

(1)- السعيد محمد مجيد، المرجع نفسه، ص199.

(2)- عبد العزيز بن عبد الرحمان المنصور، أنظر، ابن عذارى، البيان المغرب، مرجع سابق، ص164.

عنهم، ويرجح أن تكون هذه الأبيات ((نظمت بتحريض من ابن عبد أمير بالنسبة وعدو ابن تكون هذه الأبيات((نظمت بتحريض من ابن عمار اللدود الّذي هجاه قبل هذا))[1]. ويبني تشككه أيضا على ((أنّ الأفكار والمعاني التّي تقوم عليها القصيدة من فحش بذيء وإقذاع مقزز، وتشهير تشنيع، لا تسمح بنسبتها إليه، مهما تصاعد الحق د والكراهية بينهما، بالإضافة إلى عدم انسجامها مع أفكاره ومعانيه، لكنّه حتى في هجاءه لابن عبد العزيز[2]، وهو من أشد أعدائه لم يقذع، ولم يصل إلى ما وصل إليه في هجائه لصديقه الحميم المعتمد من إسفاف وانحطاط))[3].

ولا نعدم وجود ضرب من النقد السياسي لهؤلاء الملوك، تزعمه أبو القاسم خلف بن فرج الشميس في قوله:[4]

نَادِ الْمُلُوكَ وَقُلْ لَهُمْ مَاذَا الّذِي أَحْدَثْتُمُ؟

أَسْلَمْتُمْ الإِسْلَامَ فِي أُسَرِ الْعِدَا وَقَعَدْتُمُ.

وَجَبَ الْقِيَّامُ عَلَيْكُم إِذْ بِالنَّصَارَى قُمِتُمُ.

لاَ تُنْكِرُوا شَقَّ العَصَا فَعَصَا النَّبِيّ شَقَقْتُمُ.

حتى إذا انتهت أيامهم شمت النّاس بهم، وأخذوا يتحدثون عن عيوبهم، في مثل قول أبي الحسين ابن الجدّ في معرض مديحه ليوسف بن تاشفين[5].

أَرَى الْمُلُوكَ أَصَابَتْهُمْ بِأَنْدَلُسِ دَوَائِرَ السُّوءِ لاَ تُبْقِي وَلَا تَذَرُ.

(1)- السعيد محمد عبد المجيد، المرجع السابق، ص200.

(2)- عبد العزيز بن عبد الرحمان المنصور، أنظر، ابن عذارى، البيان المغرب، مرجع سابق، ص164.

(3)- السعيد محمد المجيد، المرجع السابق، ص376.

(4)-ابن بسام الشنتري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1978، 1987، ص376.

(5)- المرجع نفسه، ص376.

قَدْ كُنْتُ أَنْظُرُهَا والشَّمْسُ طَالِعَةً لَوْ صحّ لِقَوْمٍ في أمْثَالِهَا لَنَظرُ.

نَامُوا وَأَسْرَى لَهُمْ تحْتَ الدُّجَى قَدَرُ هَوَى بِأَنْجُمِهِمْ خَسَفًا فَمَا شعَرُوا.

وَكَيْفَ يَشْعُرُ مَنْ كَفُهُ فُتِحَ يحدو به ملهياه النّايُ والوترُ.

صُمَّتْ مَسَامِعَهُ عن غير نَغْمَتِهِ مِمَّا تَمُرُّ به الآياتُ والسُّور.

تَلْقَاهُ كَالْفَحْلِ مَعْبُودًا بِمَجْلِسِهِ لَهُ خُوارٌ ولكن حَشْوُهُ خَوَرُ.

وحَوْلَهُ كُلَّ مُعْتَزُ وما عَلِمُوا أَنَّ الّذِي زَخْرَفَتْ دُنْيَاهِمْ غرر[1].

(1)- المرجع السابق، ص376.

1-2-هجاء الحكام

يتمثل في فساد العلاقة بين الشاعر والحاكم، كأن يبعد هذا الأخير عن دائرة اهتمامها ويضن عليه بالعطاء، كما حدث للرمادي من قبل المنصور لأنّه كان مشايعا للمصحفي وأعزاه هذا بهجائه، كما سنرى من خلال الهجاء الأندلسي طالعنا عدة اتجاهات لهذا الفن، وفيما يلي ذكر لأهم هذه الاتجاهات، وبعض نماذج ممّا قيل فيه.

لعلّ موضوعات الهجاء البارزة في عهد الدولة العامرية وجود الهجاء السياسي والهجاء الاجتماعي، ولكنّنا سنركز على الهجاء السياسي، اعتمادا على المقطوعات التّي عثرنا عليها في ثنايا المصادر التّي اهتمت بالأدب شعره ونثره، ويعرفه فوزي سعد عيسى بقوله((الهجاء السياسي هو كلّ مل يتصل بشؤون الحكم وأمور السياسة، وفيه يصدر الشاعر عن عصبية للوطن أو الإقليم أو القبلية أو الحزن أو الدين))[1].

بهذا التعريف للهجاء واستقراء للمقطوعات الشعرية التّي تتصل بهذا الفن يتضح لنا أنّه هو أكثر الاتجاهات رواجا في الأندلس- زمن الدولة العامرية- وقد تباينت صوره وتوزعت بين هجاء الخلفاء والحجاب والوزراء والقضاة. والملاحظ أنّ أغلب مقطوعات هذا النوع من الهجاء لا تنسب إلى قائل بعينه، وذلك لخشية الشعراء من بطش الحكام بصفة عامة والمنصور بن أبي عامر بصفة خاصة.

ورغم تشدد الحكام اتجاه شعراء الهجاء، إلاّ أنّه لم يؤد إلى تكميم أفواههم وإسكات ألسنتهم عن –المجاهرة بمساوئهم ومثالبهم.

ممّا جاء في هجاء الحكام نجد قول بعضهم ينقم على المنصور ذلك الفعل[2].

أَبَنِي أُمَيَّة أَيْنَ أَقْمَارُ الدُّجَى مِنْكُم؟ وَأَيْنَ نُجُومُهَا وَالْكَوَاكِبُ؟

(1)- فوزي سعد عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، 37.

(2)- المقري، نفح الطيب، 1: 591.

غَابَتْ أُسُودٌ مِنْكُمُ عَنْ غَابِهَا فَلِذَاكَ حَازَ الْمَلِكُ هَذَا الثَّعْلَبُ.

ومنذ ذلك قول بعضهم على لسان الخليفة هشام في أبيات شعرية تمتزج بروح قوية مستنكرا استبداد المنصور بالأمر دونه[1].

أَلَيْسَ مِنَ العَجَائِبِ أَنَّ مِثْلِي يَرَى مَا قَلَّ مُمْتَنِعًا عَلَيْهِ.

وتُمْلَكُ الدُّنْيَا بِاسْمِهِ جَمِيعًا وَمَا مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ فِي يَدَيْهِ.

وفي ذلك تعبير عن المأساة التّي يعانيها، وإبراز لعجزه التّام أمام استبداد وهيمنة المنصور وتبدو المرارة شديدة في نفس خليفة لا يملك من أمرها شيئا، وتميزت بعض تلك الأشعار بفحش شديد، ومنها قول بعض الشعراء ينتقد دولة المنصور ويرسمها كلّها بالفساد ويقذفه بأفظع التهم، فيقول[2].

اِقْتَرَبَ الْوَعْدُ وَحَانَ الْهَلَاكُ وَكُلَّ مَا تَحْذَرُهُ قَدْ أَتَاكَ.

خَلِيفَةَ يَلْعَبُ فِي مَكْتَبٍ وَأُمَّهُ حِبْلَى وَقَاض....

والشاعر في هذا الهجاء كشف الواقع وعرّاه، إذ تناول الخليفة هشام المؤيد لأنّه كان صغير السن، ويعرض بأمه السيّدة صبح، وكان الأعداء يتهمون بها المنصور- كما سبق- ولم ينج القاضي ابن السليم من لسان الشاعر، فرماه هو الآخر بهذه التهمة الشنيعة، ومن هذه الأشعار أيضا نماذج يلاحظ فيها تحريض الأمويين على المنصور، وهي صادرة عن بعض الأدارسة من أعدائه- كما سبق- فقال بعضهم، أو قيل على

(1)- ابن عذارى، البيان المغرب، 2: 280 في معرض حديثه عن أحداث 371هـ وفي السنة التّي تسمى محمد ابن أبي عامر بالمنصور.

(2)- المرجع نفسه، ص602.

لسانهم في تصوير المصاب الذّي حلّ بهم، وتضخيم وقعه عليهم حتى ضاقت بهم السبل والمنافذ بعد أن شردوا على يديه [1].

فِيمَا أَرَى عَجَبٌ لِمَا يُتَعَجَّبُ جَلَتْ مُصِيبَتُنَا وَضَاقَ الْمَذْهَبُ.

ولم يكتف بالتعجب من حالهم بل كانت الصدمة قوية حتى أنّهم لم يصدقوا وكأنّهم في حلم[2].

إنّي لَأُكَذِّبُ مُقْلَتَيّ فِيمَا أَرَى حَتَى أَقُولُ غَلِطْتُ فِيمَا أَحْسِبُ.

ويستغل الشاعر هذه المصيبة التّي حلّت بالقوم وأذهلتهم فيتجه إلى الأمويين باعتبارهم الضحية الأولى، يثير حفيظتهم، ويحرضهم ليهبوا لاستعادة سلطتهم، ويمزج ذلك بهجاء مقذع لابن أبي عامر، ينصب بالدرجة الأولى على صفات جسدية خلقية فيصفه بالأحدب ويشبهه بالقرد، رغبة في تشويهه وتنفير القوم منه[3].

أَيَكُوُن كَمَا مِنْ أَمَيَّةٍ وَاحِدٍ وَيُسَوِسُ ضَخْمُ الْمَلِكِ هَذَا الْأَحْدَبُ.

تَمْشِي عَسَاكِرَهُمْ حَوَالى هودج أعواده فيهن فَرْدُ أَشْهُبٍ.

أَبَنِي أُمَيَّةٍ أَيْنَ أَقْمَارُ الدُّجَى مِنْكُمُ؟ وَمَا لِوُجُوهِهَا تَتَغَيَّبُ.

وقد تظهر النقمة واضحة في هذه الأبيات.

(1)- ابن عذارى، المصدر السابق، 2: 281، مفاخر البربر21.

(2)- ابن عذارى، المصدر نفسه، ص21.

(3)- ابن عذارى، المصدر نفسه، ص21.

هناك جانب من هجاء الشعراء للحكام قيل لدوافع ذاتية، كقول جعفر بن إبراهيم اللورقي [1] الّذي ارتحل إلى اشبيلية للنيل بعطاء بني عباد لكنّه لم يظفر منهم بطائل فهجاهم بقوله[2]:

تَعِزُّ عن الدُّنْيَا وَمَعْرُوفِ أَهْلِهَا إِذَا عَدُمَ الْمَعْرُوفُ فِي آلِ عَبَادِ.

حَلَلْتَ به ضَيْفًا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ بِغَيْرِ قُرًى ثَمَّ اِرْتَحَلْتَ بِلَا زَادِ.

ومن هذا القبيل نجد الحصري[3] يعرض بهم عندما أرسل غلامه- لما كان مقيما في طنجة- يبغي عطاء المعتمد صاحب اشبيلية واسمها في بلادهم حمص فلم يجبه[4].

نَبَهَ الرَكْبُ الهَجُوعَا وَلَم الذهر الفجوعا.

حمص الجنّة قالت لغلامي لا رجوعا.

اِحْمِ اللَّه غُلَامِي مَاتَ فِي الْجَنَّةِ جُوعَا.

ويعرض ابن شرف القيرواني بالمقتصد بن عباد، ويحدد بما قيل عن بطشه بكثير من وزرائه وندمائه، حتى حتى لقد خاف أن يفد إليه لئلا يتعرض لما تعرض له غيره من مصير مؤلم، فيقول في أسلوب لاذع[5].

أَأَنْ تَصَيَدْتُ غَيْرِي صَيْدَ طَائِرَةٍ أَوْسَعْتهَا الْحُبَّ حَتَى ضَمَّهَا الْقَفَصُ.

حَسِبْتَنِي فُرْصَةً أُخْرَى ظَفِرْتَ بِهَا هَيْهَاتَ مَا كُلَّ حِينٍ تُمَكَنُ الْفُرَصُ.

(1)- إبراهيم اللورقي: هو أبو الحسن جعفر ابن إبراهيم بن الحاج اللوري، أنظر: الفتح ابن خاقان، قلائد العقبان، دار الكتب الوطنية، تونس، 1966، ص158.

(2)- المقري، المصدر نفسه، ص226.

(3)- أبو الحسن علي عبد الغني الفهري، وأقرأ النّاس بسبنة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، ص432.

(4)- ابن خالكان، وفيان الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: محي الدين عبد الحميد، د. ط، القاهرة، 1948، ص333.

(5)- ابن شرف القيرواني، الديوان، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص68، 69.

لك المَوَائِدُ لِلْقَصَائِد مُتْرَعَةً تَرْوِي وُتشْبِعُ لَكِنَّ بَعْدَهَا غُصَصٌ.

وَلَسْتُ أُعْجَبُ مِنْ قَوْمٍ بِهَا اِنْتَشَبُوا لَكِنَّمَا عَجَبِي مِنْ مَعْشَرٍ خَلِصُوا.

ولَمْ يَطِبْ قط لي من يَلَّذُ ولا سَلَوى إذا كان في عُقْبَاهِمَا مَغْصٌ.

ولم يفق الشعراء في هجائهم لبني عباد عند هذا الجانب بل أكثروا من نقد سياستهم ووصفهم بالجور والطغيان، ويبدو أنّ المقتصد بن عباد [1] كان أكثر تعرضا لهجاء الشعراء، فهذا ابن زيدون يعبر عن شماتته عندما نعاه الناعي ويصفه بالطاغية يقول [2]:

لقد سَرَّنَا أنَّ النَّعْيُ مُوكَلٌ بِطَاغِيَّةٍ قَدْ حَمَّ مِنْهُ حَمَامٌ.

تجانب صون المزن عن ذلك الصَّدَى وَمَرَّ عَلَيْهِ الْغَيْثُ وَهُوَ جِمَامٌ.

لكن مثل هذا الهجاء بعيد عمّا يعرف عن الشاعر فإنّ زيدون لا يهجوا إنسانا ميتا لأنّ علاقته مع المقتصدين عباد استثمرت على طيبها، وهو يعلم أنّ ابنه المعتمد[3] متول الحكم بعده، وأنّ منزلته ومركزه عند المعتمد قد يفوق ما كان يتمتع به من منزلة ومكانة لدى والده، قد يكون هذان البيتان من وضع حساد ابن زيدون وأعدائه.

وقد نال المنصور من مناسفه المصحفي- كما سلف- النّصيب الأوفر بسبب سلوكه السياسي والمعادي اتجاهه، فقال المصحفي مشيرا إلى فضله، ومقالة ذلك بالنكران والجحود، وبعده خبيث الأصلي لأنّه لو كان كريما لتكرّم[4].

غَرَسْتُ قضيبا خِلْتُهُ عُودَ كَرْمَةٍ وَكنت عليه في الحوادث قيّما.

وأكرمه وهري فيزداد خبثه ولو كان من أصْلٍ كَرِيمٍ تَكَرُّمًا.

(1)- أبو عمر عباد، الحلة السيراء، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1963، ج2، ص39.

(2)- ابن زيدون، الديوان، تح: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1979، - ص286.

(3)- المرجع نفسه، ص286.

(4)- المقري، نفح الطيب، 103:1، الحاجب المصحفي، ما تبقى من شعره، 114.

وحين ضلت عليه المنصور واثقا الضاغط[1] لتعذيبه، قال بحذره- بعد استعطاف- من تقلب الزمان مقارنا بين حاله في حاضره المرير الّذي يجد فيه نفسه يخاطب ماكرًا لئيما ويتذلل إليه، وبين ماضيه بما فيه من عزة وكرامة ومهابة [2]:

لا تَأْمَنَنَّ مِنَ الزَّمَانِ تَقَلّبَا أَنَّ الزَّمَانَ بِأَهْلِهِ يَتَقَلَّبُ.

وَلَقَدْ أَرَانِي وَاللُّيُوثُ تَخَافُنِي فَأَخَافَنِي مِنْ بَعْدِ ذَاكَ الثَّعْلَبُ.

حَسِبَ الكَرِيمَ مَذَلَةً وَمَهَانَةً أَلَا يَزَالُ الى لئيم يَطْلُبُ.

ونظرا لبعض تصرفاته تعرض المظفر عبد الملك بدوره للهجاء استنكر البعض تصرفاته، ومن ذلك نجد الشاعر عبد اللّه بن عمر أبي عامر أبو حفص يذمه بسبب زاج رأى فيه مالا يرضي اللّه قال[3]:

عَرَبِيٌّ مُزَوَّجٌ عبدة بنت أخته.

قَبَّحَ اللَّهُ فِعْلَ ذَا وَرَمَاهُ بِمُقْتِهِ.

ولم يلبث أن أصبح الحكام الجدد وهم المرابطون ظلًا ثقيلًا على أهل الأندلس، فاستيقظت النقمة عليهم، فهذا البكي الّذي بلغ النهاية في مدحهم ينقلب عليهم بهجومهم ويرميهم بأقبح الصفات من لؤم وبخل ودناءة، على نحو ما مرّ بنا آنفًا.

وأمّا بشأن اليهود الذين عاشوا في ظل التسامح الديني في الأندلس، ونالوا مكانة في دولة غرناطة، فقد ظهر شيء من الحساسيّة اتجاه قيامهم بتحصيل الضرائب من المسلمين، فنسمع أبا حفص الزكرفي يتندر بهذا الوضع المعكوس:

(1)- ابن الأبار، الحلة السيراء، تح: دكتور حسين مؤنس، القاهرة، 1963، د.ط، ص287.

(2)- الألبيري إسحاق، تح وشرح: محمد رضوان الداية، دار قتيبة، دمشق، الطبعة الثانية، 1401هـ/ 1981، ص151.

(3)- المرجع نفسه، ص151.

كُنَّا نُطَالِبُ لِلْيَهُودِ بِجِزْيَةٍ ورَأَى الْيَهُودُ بجِزْيَةٍ طَلَبُونَا.

مَا إِنْ سَمِعْنَا مَالِكًا أَفْتَى بِذَا لاَلَا ولَا هُنَّ بَعْدَهُ سَحْنُونَا.

ولعلّ تسلط اليهود في غرناطة أثار أبا إسحاق الألبيري الزاهد الإمام، إثرتولي الوزارة ابن الثغريلة: إذ يقول[1]:

فَعَزَّ الْيَهُودُ بِهِ وَانْتَخَوْا وَنَاهَوْا وَكَانُوا مِنَ الأَرْذَلِينَ.

وَنَالُوا مُنَاهُمْ وَجَازُوا الْمَدَى وَخَانَ الْمَلَاكُ وَمَا يَشْعُرُونَ.

وإِنِّي اِحْتَلَلْتُ بِغَرْنَاطَةٍ فَكُنْتُ أَرَاهُمْ بِهَا عَابِثِينَ.

وَقَدْ قَسَمُوهَا وَأَعْمَالَهَا فَمِنْهُمُ بِكُلِّ مَكَانٍ لَعِينٍ.

وَهُمْ يَقْبِضُونَ جِبَايَاتِهَا وَهُمْ يَخْضَعُونَ وَهُمْ يَقْضِمُونَ.

(1)- الألبيري إسحاق، مرجع سابق ص151.

1-3-هجاء الفقهاء:

بلغ الفقهاء منزلة عظيمة في الأندلس، وقوي نفوذهم في فترات كثيرة حدث ذلك في قرطبة أثناء حكم هشام، فكانوا يتدخلون في كلّ صغيرة وكبيرى من شؤوون الدولة، وحين حاول عبد الرحمان الثاني أن يحدّ من سيطرتهم هاجموه من على المنابر، وألبوا النّاس عليه، واتهموه بالإسراف والبذخ، فحرض الحكم الشعراء على هجائهم، فكان ممن هجاهم عباس بن فرناس، والحكم بن يحي الغزال الّذي اتهمهم باستغلال نفوذهم، وجمع المال بطرق غير مشروعة فقال:[1]

لَسْتَ تَلْقَى الْفَقِيهَ إِلاّ غَنِيًا لَيْتَ شِعْرِي مِنْ أَنْ يَسْتَخِفُونَا.

تَقْطَعُ البَرَّ والبَحْرَ طَلَابَ الرِّزْ قِ والقَوْمُ ها هنا قَاعِدُونَا.

إنَّ لِلْقَوْمِ مَضْرِبًا غَابَ عَنَّا لَمْ يُصِبْ قَصْدَ وَجْهِهِ الرَّاكِبُونَا.

وأشار الأمير عبد اللّه بن بلقين من مذكراته إلى احتفاء الأندلس بالفقهاء، فقال: "ولم تزل الأندلس قديما وحديثا عامرة بالعلماء والفقهاء وأهل الدين، وإليهم كانت الأمور معروفة، إلاّ ما يلزم الملك من خاصته وعبيده وأجناده...، وكان منهم أصحاب الأمر والنهي إلى جانب الحكام أنفسهم، كما كانت الحال في قرطبة أيام بن جهور، وكذلك كان الحكام أنفسهم، وكذلك كانت شؤون دولة بني ذي النون بطليطلة موكولة إلى الفقيه أبي بكر الحديدي، كما أن بلنسبة أسلمت أمرها في إحدى مراحل تاريخها إلى القاضي ابن جحاف"، وأشار بن الخطيب إلى إيثار بني عامر للفقهاء فقال عن زهير العامري: " إنّه كان يشاور الفقهاء ويعمل بقولهم"، كما ذكر أنّ مجاهدًا العامري نصب بمحل ملكه خليفة دعا النّاس إليه وهو الفقيه المعيطي...، وكان في عداد الفقهاء المشاورين بقرطبة، فنصبه

(1)- فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، مرجع سابق، ص115.

خليفة وأخذ له على النّاس البيعة، فاستبد المعيطي بالنّاس، واستأثر بالغي، وجاهر بالمعاصي.

وقد اشتد هجاء الفقهاء في عصر المرابطين بعد أن أحس الشعراء بارتفاع شأنهم أكثر من أي وقت مضى، وبعدما رأوه من تكالبهم على جمع الثروات ومصانعتهن للحكام، وانصرافهم عن مصالح النّاس واستغلال نفوذهم في تحقيق مآربهم الخاصة، فقال فيهم أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بالأنيفية[1]:

وأَهْلُ الرِّيَاءِ لَبَسْتَهُم نَامُوسَكُمْ كالذئب يُدْلِجُ في الظّلام العَاتِم.

فمَلَكْتُم الدنيا بِمَذْهَبِ مَالِك وَقَسَمْتُم الأَمْوَال بابن القاسم[2].

ورَكِبْتُم الشُّهْبَ البِغَالِ بأشهبٍ وبأُصْبُعٍ صَبِغَتْ لَكُمْ في العالم.

وقال فيهم ابن خفاجة:

درسُوا العلوم لِيَمْلِكُوا بِجِدَالِهِمْ فيها صُدُور مَرَاتِبٍ ومَجَالِسٍ.

وتَزَهَّدُوا حَتَى أَصَابُوا قَرْيَةٍ فِي أَخْذِ مَالِ مَسَاجِدٍ وَكَنَائِسٍ.

ومن الطّريف أن نجد بعض الفقهاء يقحمون أنفسهم في معارك هجائية مع بعض الشعراء، فقد ذكر أنّ الفقيه ابن ميمون القرطبي كان يتهاجى مع ابن سهل البكي، وممّا قال له فيه البكي:

قالوا: هَجَاكَ ابن ميمون فقلْتُ لَهُم يا ليت شعري من الهاجي فَأُدَرِّبَهُ.

قالوا: الفقيد الّذي من أَرْضِ قرطبة قلت: العظيم فقالوا كلهم: إبه

(1)- سامي يوسف أبو زيد، الأدب الأندلسي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2012، ص 67.

(2)- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1978، ص110.

ويقذف المخزومي الأعمى في هجائه لأحد الفقهاء فيقول:[1]

طِبْنِيكُمْ هَذَا الْفَقِيهُ مُخَفَّفٌ بَاقٍ عَلَى عَهْدِ الصَّدِيقِ مُقِيم.

شَهِدَتْ عَلَيْهِ باللُوطِ جماعة واللّه يعلم أنّه مظلوم.

ساء الفقيه بأنّني مسطغ ويرني أنّ الفقيه وَظِيمٌ.

(1)- عيسى فوزي، الهجاء في الأدب الأندلسي، مرجع سابق، ص116.

1-4 هجاء القضاة

يحتفظ (الخشنى) بصوره مشرقة لكثير من قضاة الاندلس الذين عرفوا بالنزاهة وشهروا بالتقوى والوزع غير أن بعض القضاة حادو على الجادة فلم يتحرجوا من قبول الرشوة سعيا لتحقيق كسب رخيص وتهاون بعضهم في إقامة الحدود ومال آخرون إلى القسوة والغلظة في معاملة الناس وقد تصدى الشعراء لأمثال هؤلاء القضاة فأكثروا من هجائهم وتتبع زلاتهم وانتقاد تصرفاتهم المخزية فمن ذلك قول اليكي في أحد قضاة مرسية: (1)

تسمع أمير المسلمين لنبأه تَضُمُ لَهَا الآذَانُ فِي كُلّ مَشْهَدِ

بِمَرْسِيَّة قاض تجاوز حدَّهُ وأخطأ وجه الرُّشْدِ في كلِّ مَقْصِدِ

يُطَالِبُهُ الأَيْتَامُ فِي حِلِّ مَالِهِ ويطلبه في حقه كلّ مسجد

فما بيضت بِحفاك بالعدل لم تزل تسوده بالجُورِ كَفٌّ ابن أسود.

ويتهم ابن القطان (ت.558هـ) القاضي ابن المرخم بالجهل في تطبيق الأحكام فيقول: (2)

يا ابن المُرْخِمِ صِرْتَ فِينَا قَاضِيًا خَرف الزمان تراه أم جن الفلك

إن كنت تحكم بالنّجوم فربّما أمّا بشرع محمد من أين لك؟

ويتهم يحيى بن الحكم الغزال القاضي يخامر بن عثمان الشعباني بالتخبط في تطبيق الأحكام فيقول: (3)

فقلت له كلفتني غير منعني كما قلد وأفضل القَضَاء يخامرا

(1)- ابن سعيد، المغرب في حله المغرب، ص2/280.

(2)- المغزي، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، بيروت ،1968 ص 2/135.

(3)- ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود مكي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة 1971 ص 200.

فأصبح قد حارت به طرق الهوى يُكَابِدُ لُجِيًا من البحر زاخرا

فقلت له أَسَتَعْفِينِي منها فقال لي فأفصح ما قد كان ذلك مغايرا

فقلت له رأس الفتوح إقامة علينا كذا من غير عِلْمٍ مكابرا

وخَبْطُكَ في دين الإله على عمى خَبَاطَةُ سكران تُكَلِّمُ سادرا

فلن تحمل الصّخر الذّياب ولن ترى السـ لاحف يَزْجِينَ السّفينة المواخرا

وكلف عبد الرحمن بن صغاور الشاطبي (ت587هـ) بهجاء قاض يدعى (ابن بيش) فتحول عنده إلى أمثولة وأشرف في التشهير به والتهكم عليه وأنعمه بتعطيل الحدود وتزييف الأحكام وتحليل ما حرم الله والعكوف على الخمر والجري وراء مصالحه الخاصة فمن ذلك قوله: [1]

لا تَظُنُّوا ابن بيش في قضاياه يرتشي

إنّما الشّيخ هلهل فهو يصحو وينتشي

فتَرَى الحُكمْ غدوة وترى النُقْصَ بالعشي

ويينتذر عليه مرة أخرى فيقول: [2]

الحمد لله بَلَغْنَ المُنَى لا حدَّ في الخمر ولا في الغِنَا

قد حلَّلَ الْقَاضِي لَنَا ذَا وذَا وإن شَكَرْنَاهُ أَحَلَّ الزِّنَا

ويبالغ في التشهير به فيقول: [3]

(1)- صفوان ابن ادريس، زاد المسافر، تح: عبد القادر محداد، بيروت ،1952ص81.

(2)- المرجع نفسه، ص 81.

(3)- المرجع السابق، ص 81.

قال ابن بيش المشهور مَوْضِعَهُ قَوْلًا يُعَابُ عَلَيْهِ آخر لابد

الخمر والزمر والفحشاء أجمعها حل وبل وتبقى خطتي بيدي

ومال بعض الشعراء في هجائهم للقضاء على كما نجد في هجاء المخزومي الأعمى لقاضي بياسة فهو يستغل أحد عيوبه الخلقية استغلالا سيئا فيقول: (1)

أصَحَ الّذِي لم يأت دهرا بمثله لِعمري ولم يسمع به قط سامع

لبياسة قاض عظيم مُثَوْلَلٍ ثَوَالِيلُهُ من أن (...) موانع

فراحته في أن يرى (...) عُرْسَهُ كذى العريكوى غيره وهو رائع.

وقد وقف بعض القضاة من شعراء الهجاء موقفا حازما فعندما هجا أبو بكر ابن الحاج القاضي ابن توبة، أتى به القاضي وضربه ضربا موجعا وأمره فطيف به على الأسواق والناس يصيحون به من أمام ويضربونه من خلف وأشار أبو اسحاق الألبيري إلى هذه الحادثة معبرا عن تشفيه وغبطته للعقاب الذين ناله من ابن الحاج فقال: (2)

السَّوْطُ أبلغ من قال ومن قيل ومِنْ نُبَاحِ سَفِيهٍ بالأبَاطِيلِ

مُرُّ الْمَذَاقِ كَحَرِّ النَّارِ أَبْرَدَه يعقل المتعاطي أي تعقيل ذ

رأى من الطِّبِ ما يقراط لم يره في برء كلّ سَخِيفِ الْعَقْلِ مَخْذُولُ

ضئيل جسم تُهَابُ الْخَيْلُ سَطْوَتُهُ أعدى وأطغى من التمساح في النِيلِ

يَرْفُضُ الْمَرْءُ تَرْفيصا بلا طرب لو كان أثقل أو أَحْسَنُ من الفيل

عند السَّخِيفِ به خبر وتجربة فقد رمى تحته ماعدَّ بالفول

(1)- المرجع السابق، ص 117.

(2)- أبي اسحاق الألبيري، ديوانه، تح: محمد رضوان الداية ، بيروت 1976، ص 109-110.

وقد حسامته امْرَاقًا مُغَلْغَلَةٌ جَشَتْهُ شَرَّ الجَشَا مِنْ شَرِّ مَأْكُولِ

وقد هجا بِهُجُوٍ مؤلم وَجَعٌ لا يشبه الصّقر في نُظْمٍ وتفصيل

فقل له ان جرى هُجو بخاطره أذكر قيامك محلول السراويل

واذكر عقوبة مازورته سفها في السادة القادة الشَّمِ الْهَالِيلِ

وقد شارك النثر أيضا في هجاء القضاة فهناك رسالة لأحد الكتاب كتبها على لسان علي بن يوسف بن تاشفين ساخرا فيها من القاضي ابن أضحى المرتاطي بعد أن عزلهن قضاء المرجة متهما إياه بالجهل بأحكام القضاء وفيها يقول: [1]

وتقرر لدينا أن الجهول ابن أضحى اجهل بأحكام القضاء من الملجوم، إذ قد أظهر فيكم أحكاما يترحم فيها عن سدوم، وقد جعلنا شهب العزلة لشياطينه كالرجوم وقلدناه خطة السؤوم، ونبذناه دون أن تداركه نقمة من ربه بالعراء وهو مذموم ولا علم تعسفا يتعسف وجائرا لا يتصف يلومنا في تقديمه وينالنا من العتب بأليمه ولا قدح فقد اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم لوحي الله لعين بنهي سرح وقد اغتر عثمان بحمران، ولسنا أول من خانه القياس، ولم يأته من الغرير باس

(1)- السلفي، معجم السفر، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم 2216، تاريخ،ص 121-122.

2- اتجاهات الهجاء الاجتماعي الأندلسي

2-1- هجاء الرذائل الخلقية

الهجاء الاجتماعي ضرب من الهجاء يوجه فيه الشاعر سهامه إلى أمور تتصل بعادات النّاس وطبائعهم وأخلاقهم وصفاتهم، وهو لا يتناولها بطبيعة الحال من جوانبها الإيجابية أو المثالية، بل بما فيها من فساد واحتلال، فالهجاء سريع النفاذ في مواطن العيب والخلل، ولا يستهويه إلاّ المثالب ومواضع القصور والنقص، فيلتقطها بعينه الناقدة، ويرى فيها مادة غنية بالصور فيجمعها ويبرزها للعيان في صورة منفردة تثير الضيق والاشمئزاز، وقد راج هذا النوع من الهجاء في العصر العباسي وما تلاه من عصور حيث اقترنت الحضارة بشيوع كثير من الرذائل والمفاسد، فنقم بعض الشعراء على المجتمع، ووصموه بالفساد والانحلال، " واتجه لهجاء إلى ضرب من التشاؤم والسخط على الحياة والمجتمع والنّاس جميعا، بل على الدهر، ولكنّه لم يكن سخطا ايجابيا عنيفا، بل كان سخطا سلبيا[1].

وراج هذا النوع من الهجاء أيضا في الأندلس، فابن عبدون يرمي أهل عصره بالفساد، فيرى أنّ الناس فسدت أبدانهم، وأنّه لا يصلح هذه الأمور إلاّ نبي، ويتتبع أوجه الخلل والقصور في مجتمعه، فيعيب على بعض النّاس شرب الخمور في المقابر، وجلوسهم فيها لاعتراض النساء، ويُشير إلى تفشي الفسق وضروب الغش في السلوك والمعاملات، وكذلك صنوف الحيل ونقص الذمة في البيع والشراء، وأخذ الجعائل، وأخذ الصيرفيين للربا[2]، ويصور بعض الآفات الاجتماعية كشيوع الزنا واللواط والسرقة، وميل بعض النّاس إلى الكذب والبخل، وغير ذلك من الصفات المستهجنة، ونمثل بهذا النوع

(1)- محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري، دار المعارف، القاهرة، ط، 1962، ص32.

(2)- فوزي عيسى، المرجع السابق، ص136.

بأبيات أبي جزيرة محفوظ بن مرعى الشريف التّي يعرض فيها بقوم دأبوا على ارتكاب الفحشاء، فيما بينهم دون مراعاة دين أو حرمة، وفيما يقول: [1]

يا دَائِبِينَ على الفحشاء وَيْلَكُمْ أَلَبَسْتُمْ شيخكم ثوبا من العار.

الابن في داركم سَهر لوالده والأخ قد ينثني عن كلبه الحار.

ما تحفظون أباكم في حلائله والكلب عرس لحاه اللّه من دار.

أجبيتم سنة دَانِ الْمجوس بها فعظموا مثلهم بيتا من النّار.

ويُشير المخزومي الأعمى إلى استشراء آفة اللواط في هجائه لابن القيصر فيقول مضمنا أحد الأبيات الشعرية الرائعة:[2]

لابن القيصر مع ابنه وصغيره حجج بها سوف الفُسُوُق تَقُومُ.

ألقاه يوما تحت أسود حالك فَبَدَا يُعَاتِبُهُ لِذَا وَيَلُومُ.

فأجابه متعجِبًا وجوابه بَيْتٌ على مرِّ الزَّمَانِ قَدِيمٌ.

لا تَنْهَ على خُلُقٍ وتأتي بِمِثْلِهِ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ.

ويعرض أبو عيسى المربيطي بأحد الأشخاص المصابين بهذا الداء وقد تزوج بإحدى العاهرات فيقول:[3]

لاَ تَعْدِلُوهُ عن ابتلاء بِعُرْسِهِ الْعَاهِرِ الْهَجِينِ.

أَلَيْسَ مِثْل الغزال حُسْنًا لاَ بُدَّ لِلْظَّبْيِ مِنْ قُرُونٍ.

(1)- صفوان بن إدريس، زاد المسافر وغزة محيا الأدب السافر، تح: عبد القادر محداد، بيروت، 1970، ص123.

(2)- المرجع نفسه، ص118.

(3)- ابن سعيد المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ط، دار لمعارف، القاهرة، ص2، 378.

ومن مظاهر الفساد التّي تصدى لها الشعراء انتقاد تصرفات بعض رجال الدين الذين تخلوا عن أداء واجبهم، وتساهلوا في الأحكام، واستحلوا المحرمات وقد مرّ بنا أمثلة كثيرة لهذا النوع في هجاء الفقهاء والقضاة، ونمثل لذلك أيضا يقول أبي بكر بن مغاور الشاطبي:[1]

أنا إلى اللّه ما داخل بالدّين من الطّوال اللحى البيض العثانين.

باعوا رضى اللّه وابتاعوا مساخطه وغيّروا الشّرع باللّه للدين.

أضحت شهادتهم بالزور ناطقة إنّ الشهود لأعوان الشياطين.

ويُشير عبادة إلى انتشار داء الكذب عند بعض النّاس فيقول:[2]

مذ كنت لا تنفك تخبر عن حديث لم يكن.

فكأنّما غَذَيْتَ طِفْلًا بالكَذَابِ مَعَ الجُبْنِ.

ويحمل ابن خفاجة على طائفة من الناس يتصفون بالجهل والغباء:[3]

دع عنك من لَوْمِ قَوْمٍ لَسْتَ تُخْبِرُهُمْ ألاَّ تَكْشِفَ سِرَّ الغَيْبِ عَنْ عَيْنِ.

عِوَجٌ على الوَاهِرِ هَوَجٌ غير أنّهم سود من الجهل بيضان من الشيب.

ويقول:[4]

يا ضاحكا ملء فيه جهلا أحسن من ضحكك البكاء.

(1)- ابن الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تح: إحسان عباس، ط، دار الشروق، بيروت، 1981، ص248.

(2)- صفوان ابن ادريس، زاد المسافر وغزة محيا الأدب السافر، ص 80.

(3)- ابن خفاجة، ديوان، تح: السيّد مصطفى غازي، الاسكندرية، 1956، ص 68، 77.

(4)- المرجع نفسه، ص68- 77.

وهنت حساوهنن نفسا فلا ذكاء ولا زكاء.

ومن الصفات الذميمة التّي تناولها الشعراء في هجائهم صفة الزهو والكبر عند بعض النّاس، وقد نظّم أبو إسحاق الألبيري قصيدة في رجل يجر ثيابه زهوا وخيلاء قال فيها :[1]

ما عبدك الفَخْمُ إلاَّ يَوْمَ يَغْفِرُ لك لاَ أَنْ تُجَرِبَهُ مستكبرا حِلَكَ.

كم من جديد ثياب دينه خُلُقٌ تكاد تَلْعَنُهُ الأَقْطَارُ حَيْثُ سَلَكَ.

وكم مُرْقِع أطمار جديد تقى بكت عليه السما والأرض حين هُلِكَ.

كما أكثر الشعراء من هجاء ثغلاء الظل، وهي صفة ذميمة لا سيما إذا اجتمعت معها صفات أخرى كالرقاعة والسخف على نحو ما يبدو في قول أبي الحكم ابن المظفر[2].

وهو على خفة به أبدا معترف أنّه من الثقلا.

يُمِتُ بالثَّلْبِ والرِقَاعَةِ وإلاّ سخف، وأمّا يغير ذلك فلا

إن أكن فاتحته لتخبر ما يصدر عنه فتحت منه خلا.

وأسْفَهَ السُّمُ إن ظَفِرَتْ به وامزج له من لسانك العسلا.

وبرع الشعراء في تناولهم لهذه الصفة كما يبدو في قول أميّة بن أبي الصلت الاشبيلي:[3]

لي جليس عجبت كيف استطاعت هذه الأرض والجبال ثقله.

أنا أرعاه مُكْرِهًا وبقلبي منه ما يُقْلِقُ الجِبَالَ أَقَلُّهُ.

(1)- أبي إسحاق الألبيري، ديوان، تح: محمد رضوان الداية، ط، بيروت، 1976، ص70.

(2)- المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، بيروت، 1968، ص2/ 134.

(3)- المرجع نفسه، ص134/2.

فهو مثْلَ المَشِيبِ أَكْرَه مرآ ه ولكن أصُونُه وأجله.

2-2- هجاء المرأة

أمّا عن ولادة بنت المستكفي فهي هجاءةٌ مريرة سليطة اللّسان، استطاعت بحدة لسانها أن تفوق أترابها من بنات عصرها، ويندرج هجاء ولادة ضمن الهجاء الشّخصي؛ أي الهجاء الّذي يكون بين فردين، ويتصف في الغالب بصفة التشهير بين شاعر وآخر، أو بين شاعر أو أحد أعدائه، وهو يتسّم بالبذاءة والفحش أو الأقذاء.

وفي هذا السّياق يمكن أن نورده من شعر ولادة في هذا الغرض هذه الأبيات التّي قالها في هجاء ابن زيدون حيث لقبه بالمسدس، وهو أخف ما قالته في هجائه تقول[1]:

وَلُقِّبْتُ الْمُسَدّسُ ونَعْتُ تُفَارِقُكَ الْحَيَاةُ وَلا يُفَارَقُ

فَلُوطِي ومأبون وزان ودَيُوثُ وقَرْنَان سَارِق

لم تقف ولادة عند هجاء ابن زيدون، بل هجت الأصبحي ووازنه هجاء جريرا، فلطخت سمعتها حيث قالت فيهما:

يَا أصْبُحِي أَصْنَافُكُم نعمة جاءتك من ذي العرش ربُّ المِنَنِ

قَدْ نِلْتُ...ابنك مالَمْ ينل ...بوران أبهَى الحَسَن

لقد بلغ هجاء ولادة من الفحش درجة لا نكاد نصدقها، خاصة وهي شاعرة أميرة من البيت الأموي الأندلسي، ينتظر منها الحشمة والحياء والعفة.

ولعلّ ما يجعلنا نقرّ بأنّ ولادة قد تجاوزت الحدود في استعمال الشعر ونستخبره لهواها ونزواتها من خلال استعمالها لألفاظ فيها كثير من الفحش وكثير من البذاءة،

(1)- المقري التلمساني، نفح الطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ط1، ص340.

وقذف وشتائم وذكر السوءات لدرجة أنّ بعض أشعارها نجد فيها حذفا للكلمة البذيئة من طرف بعض المؤلفات، وهذا ما جعل أسلوبها في عرض الهجاء أسلوبًا سوقيًا[1].

إنّ هذا النوع من الهجاء لم يقتصر على ولادة فقط، بل تناولته بعض الجواري ممن لهم قسطا وافرا من العلم والأدب أمثال مهجة بنت التهاني القرطبة التّي احتضنتها ولادة وعلمتها قول الشعر البذيء والعنف والشراسة، فهي هجت ولادة هجاءً فاحشا متهمة إياها أنّها ولدت وليس لها بعل فقط قالت:

وَلَادَة قد صِرْتِ وَلَادَةٌ من غير بعل، فَضَحَ الكَاتِمُ

حَكَتْ لَنَا مَرْيمُ لكنّه نَخْلَةُ هذي... [2].

إنّ مهجة من خلال هذين البيتين تبدو سليطة اللّسان بذيئة اللّفظ، فهي لم تتورع من ذكر عورات الرّجال في شعرها ولا سيّما وهي امرأة، والأصل في طبيعة الأنثى الحشمة لكنّنا لا نستغرب منها ذلك، إذا علمنا أنّها تلميذة ولادة التّي علمتها فحش القول، وما فعلته مهجة مع ولادة يذكرنا بالقول المأثور:

وكم عَلْمْتُه نُظْمَ القَوَافِي فلمّا قال قَافِيَّةً هَجَانِي

ولم تكن مهجة سليطة اللّسان مع بنات جنسها فحسب، بل استعملت العنف نفسه والشراسة مع الرّجال أيضا:

يا متحف بالخوخ أحبابه أهلا به من مُثْلِجٍ للصُّدُورِ

حكى ندى العِيدِ تَفْلِيكَهُ لكنَّهُ أَخْزَى رُؤُوسٌ... [3].

(1)- سعيد بوقلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، (د. ط)، 1995، ص227.

2- ابن السّعيد المغرب، ج1، نفح الطيب، ص293، وحذفت الكلمتين الأخيرتين لبذاءتهما.

3- في النفح، قدهمى وحلأن، طردت ومنعت.

هذا كان جزاء من أهداها خوخا، فبدلا من أن تشكره وتمدحه على الهدية اللّطيفة هجته هذا الهجاء المرّ، غير أنّ لمهجة بيتين جميلين يعتبران من أحسن شعرها الذّي وصلنا:

لأنّ حلاّت، عن ثغرها كل حائم فمازال يحمي عن مطالبه الثغر

فذلك تحميه القواضب والقنا وهذا حماه من لواحظها السحر[1].

وقد أعبت النقاد في عصرها بهذين البيتين، فقال فيها صاحب المسهب:

لقد تقدمت بهما فحول الذكران[2].

هذا ما جاءت به علينا المصادر من شعر مهجة، وهو قليل لا نستطيع من خلاله أن نحكم على شاعريتها؛ غير أنّنا لا نستطيع القول أنّ شعرها الهجائي كان بذيئا وكان مسفا، وما وصلنا من شعرها في غير هجاء على قلته كان أجود مقبول.

وهناك شاعرات أخريات تناولن هذا الغرض بأسلوب سوقي بذيء مثل نزهون بنت القلاعي الغرناطية تقول:

عديري من عاشق أنوك سفيه الإشارة والمنزع[3]

يروم الوصال بما لو آتي يروم به الصفح لم يصفح

ترأس فقير إلى كيّة ووجه فقير إلى برقع

1- المغرب، ج1، ص143.

2- المصدر نفسه، ص143.

3- سعيد بوقلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع السابق، ص227.

إنّ هجاء الولادة وبنات عصرها يمتاز بالخلاعة والفحش ويبدو ذلك جليًا من خلال المعاني التّي تناولتها، فهي خالية من الحشمة والحياء وكذا العفة وهي عناصر ملتحمة تقوم على أساسها أنوثة المرأة.

ويقول الأعمى المخزومي حين هاجته أثارته نزهون القلاعية الغرناطية، فردّ عليها بهذين البيتين[1]:

ألاَ قُلْ لِنَزْهُونَةٍ مَالَهَا تَجُرُّ من التَيْهِ أَذْيَالَهَا

وأبصرت فيشة شمرت كما عوَدَتْنِي- سِرْبَالَهَا

لقد استعمل الشاعر ألفاظ سوقية فجاء تعبيره قبيحًا، مع ذلك فإنّنا لا نستغرب لأنّ هذا لم يكن جديدا علينا على خلاف ما رأيناه عند الشاعرات.

وجاء ردّ نزهون ترد فيها على هجاء المخزومي لها تقول فيها:

إن كان ما قلت حقًا من بعض عَهْدٍ كَرِيمٍ

فصار ذكرى ذَمِيمَا يَعْوِى إلى كُلِّ لَوِمٍ

وصِرْتُ أَقْبَحَ شَيْءٍ في صُورَةِ المَخْزُومِي[2].

1- المرجع السابق، ص119.

2- المقتضب لابن الأبار، نفح الطيب، ص 296، تح، إبراهيم الأبياري، ص217.

2-3- هجاء المدن

وهو اتجاه قديم يرجع ظهوره إلى القرن الثاني الهجري حيث وجد شعر في هجاء بغداد والبصرة وغيرهما، وهو مقابل الاتجاه الآخر في في مدح المدن،[1] وكان ظهور هذا الاتجاه في الهجاء الأندلسي امتداد لوجوده في الشعر المشرقي كما كان ظهوره "مرتبطا بواقع الشعراء وحياتهم الاجتماعية، فقد فرضت عليهم ظروف العيش أن يتنقلوا من مدينة إلى أخرى، وكان يحدث أحيانا أن يمر الشاعر بظروف قاسية في مدينة من المدن، فيصوب إليها سهام هجائه".

وقد أكثر الشعراء من هجاء المدن الأندلسية، فلدينا شعر في هجاء إشبيلية ومرسية وشاطبة والمرية ورندة ونشريس وغيرها، فمن ذلك قول ابن القاسم البطليسوس في هجاء إشبيلية.[2]

يا حصص لا زلت دارا لكل بؤس وساحة

ما فيك موضع راحة إلاّ وما فيه راحة

واتجه بعض الشعراء إلى هجاء مدنهم كما في قول ابي عبد الله بن ياسين الشاطبي يهجوا مدينته:[3]

شَاطِبُهُ قرية طَنِينَةٍ ليس لمن أمها معينة

تهتضم الطِيبَ اهْتِضَامًا وتأنف الدَّهْرَ أن نغنيه

والخبث المُحَصَّنُ تصْطَفِيهِ ضِدَّ ألما جاء في المدينة

(1)- محمد مصطفى هدارة، الشعر في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، ص310 وما بعدها.

(2)- فوزي عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، الهيئة المصرية للكتاب الاسكندرية، 1979، ص229.

(3) ابن سعيد، اختصار القدح المعنى في التاريخ المحلي، تحقيق الأبياري، القاهرة، 1959، ص137.

ويلجأ بعض الشعراء في هجاء مدنهم إلى طريقة التلاعب اللفظي بأسمائها أو تصحيف هذه الأسماء لإلصاق صفة مستقبحه بها كقول ابن رفاعة في هجاء شريش: [1]

شريش ما أنت إلاّ تَصْحِيفُ شريش

فأدحل فديتك عنها إن كنت مِمَنْ تُدِينُ.

فقلَّمَا سَادَ فِيهَا حَرٌّ ولاَ مَنْ يُعِينُ.

وقد يركز الشعراء في هجائهم للمدن على صفة مذمومة ألصقت بإحدى المدن واشتهرت بها كقذارة سكانها أو عدم نظافة أحيائها أو انتشار الأمراض والأوبئة فيها، فمن ذلك قول السميسر يهجوا مدينة (المرية) معوض بصفة عرفت بها وهي أن مرافقها مجلوبة، وأن الميرة تأتيها من بر العدوة فيقول: [2]

بئْسَ دَارِ المريه اليوم دارًا ليس فيها لِسُكَانٍ ما يحب

بلدة لا تُمَارُ إلاَّ بِربحٍ رُبَّمَا قَدْ تَهِبُ أَوْ لاَ تَهِبُ

ويصفها وصفا مزريا معرضا بقذارتها فيقول: [3]

قالوا المَريَّةَ فيها بطاقَةٌ قلت: إيه

كأنّها طَقٌّ بَتْرٍ ويَبْصُقُ الدَّمَ فِيهِ

وقد يهجو الشاعر مدينة من المدن لوحشة انتابته فيها كقول أبي الفتح بن فاخر يهجو مدينه (راندة): [4]

---

(1)- ابن سعيد، المغرب في حي المغرب، تح: شوقي ضمين، دار المعارف، القاهرة، ص306.

(2)- المقري، نفح الطيب، ص3/390.

(3)- المرجع نفسه، ص3/390.

(4)- ابن سعيد المغرب في حي المغرب، ص334.

قبحا ليرندة مثلما قبحت مطالعة الذنوب

بلد عليه وِحْشَةٌ ما إن يُفَارِقَهُ القَطُوبَ

ما حَلُمَا أَحَدٌ في وى بعد بين أن يؤوب

لمراتها عند الضحى إلاّ وَخُيِّلَ لِي الغُرُوبَ

افق افم وساحة تملأُ القلوب من الكُرُوبَ.

وقد يتصب هجاء على أهل مدينة معينة كأن يصفهم بالجبن أو النذالة أو فساد الأخلاق أو سوء الطباع كقول المخزومي الأعمى يهجو أهل مرسية: [1]

على أهل مَرْسِيَةٍ لَعْنَةً لُغْمَ الدِّيَارِ وأَرْبَابُهَا

فما غلقت قط مذ فتحت على فاضل الطَّبْعِ أَبْوَابُهَا

كِلَابُ نَهْرٍ إلى شاعر وتكشف للشَّرِ أَنْيَابَهَا.

ويحتفظ بن بسام بقصيدة لأبي عامر بن الأصيل تعد أطول مأبدينا من القصائد التي قيلت في هجاء المدن، وفيها لا يركز الشاعر هجاءه على مدينة بعينها، كما رأينا عند أضرابه من الشعراء، بل يهجوا كثيرل من المدن مثل باجة وشلب شنتمارية وغيرها من مدن التفور والسواحل التي طاف بها سعيا وراء رزقه ولكنه لم يظفر منها بطائل، ويعبر عن تجربته المريرة التي صادفها في تلك المدن، ويذم حظه العثر الذي قاده إليها، ويلحق الصفات المعيبة بأهلها، فيصفهم بأنهم أوغاد، رعاء، ويرميهم بالخزي والعار، ويتهمهم بالجبن، والبخل، فيقول: [2]

(1)- صفوان بن ادريس، زاد المسافر ص 118.

(2)- ابن بسام الشنتيري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979، ص3/2/861.

إلى ابن الفِرَارِ ولا فرار ومن له بالقَرَارِ ولا قَرَارِ

أرى الأوغاد يعتَمِرُونَ دَوْرًا ومالي في بلاد الله دار

أجُولُ فلا أرى إلاّ رعاء كبارهم إذا اختبروا صغارا

اباحة لا وقاك الله خيرا فلا خير لِدِيكٍ ولا خيار

أشنتمرية قبحت دارا كؤوس المخزيات بها لدار.

ولم يكتف الشعراء الأندلسيين بهجاء مدنهم بل اتجهوا بهجائهم إلى مدن أخرى غير أندلسية، فنجد أبا الحسن ابن الإمام الغرناطي كاتب الأمير تميم ابن يوسف بن تاشفين ينظم شعرا فيه هجاء مراكش حاضرة الأندلس خلال حكم المرابطين والموحدين، فيعرض بجوها الكدر، ومياها الأنسة، كما يعرض بخيانة بعض سكانها.[1]

(1)- المقري، نفح الطيب، ص4/12.

2- 4- هجاء الأهل والأقارب

اتجه الشعر الهجاءون إلى هذا الضرب من الهجاء الذي يكشف عن بعض جوانب الخلل والقصور في علاقة الأزواج بزوجاتهم أو الآباء بأبنائهم فهو المظهر السلبي لما ينبغي أن تكون عليه الأواصر الاجتماعية التي تقوم على أسس المودة والرحمة، ونلاحظ أن أغلب النماذج الهجاء كالأعمى المخزومي، وابن حزمون، وابن صارة الشنتريني، وعلي بن بسام وغيرهم. ونجد بعض هؤلاء الشعراء ينظمون شعرا في هجاء زوجاتهم، فنرى ابن صارة الشنتريني يهجوا زوجته بعد أن طلقها على الزمان الذي أسدى إليه هذا الصنيع، ويرميها بالنفاق والخبث ويشبهها بالذئبة كما يشبهها بالحية الرقشاد، فيقول: [1]

أما الزَّمَانُ فَرَّقَ لي من طلة كانت تُطِلُ دَمِي بسَيْفِ نِفَاقِهَا

الذئبة الطّلْسَاءُ عند نِفَاقِهَا والحيَّةُ الرَّقْشَاءُ عِنْدَ عِنَاقِهَا.[2]

وارتبط بهذا الاتجاه اتجاه آخر يرمي إلى هجاء المرأة عموما والانتقاص من شأنها، وتقوم معانيه على نقيض المعاني التي بزيارته، ويجد في فتور ألحاضها شيئا منفرا لأنه أصاب أعضاء جسده بالفتور ويزري بصفات المرأة، فيرى أن الجيفة تستقذر رائحة أنفاسها الكريهة وإنما تتخذه من أدوات الحلي وأدوات الزينة إنما هي شهادات زور تحاول أن تعطي بها قبحها ودمامتها، وغالبا ما يصوغ الشاعر أبياته في أسلوب هزلي وكأنه يتقبل منهاج ابن الحجاج شاعر بغداد الذي عرف باتجاهه الهزلي الساخر، ونستطيع ان نجد هذه المعاني التي أشرنا إليها في قول محمد بن مسعود –وهو من شعراء الذخيرة: [3]

ما زارني طَيْفُكَ يا هذه إلاّ تَمَنَيْتُ بألاّ يَزُورَ

فُتُورَ ألْحَاظِكَ ذَاكَ الّذِي أَعَارَ أَعْضَائِي هَذَا الفُتُورَ

(1)– فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 143.

(2)– ابن بسام الشنتيري، الذخيرة، ص 3/3/844.

(3)– المرجع نفسه، ص 1/1/557،558.

وقدك المانس فوق النقا قد فؤادي الهائِمُ الْمُسْتَطِيرَ

كم قائل: صِفْهَا لَنَا واخْتَصِرْ ولا تطول قُلْتَ شَمْسَ القُدُورِ

قيل وزِدْ، قلت لهم إنّهَا في سِعَةٍ مثل الدَّفَا والبُخُورَ

تستقدر الجِيفَةَ أنْفَاسَهَا وتجعل الفَرْكَمَانَ البُخُورَ

للكُحْلِ والغَمْرَةِ في وجهها والطِّيْبُ والزَّيْنُ شَهَادَاتُ زُورٍ

فقَرَاءُ شُعَرَاءُ على سَمْرَةٍ فَهَلْ تَرَى يَا سَيِّدِي من فَطُورَ؟ (1)

ويرسم يحيى بن الحكم الغزال هذه الصورة المزرية لإحدى النساء فيقول:(2)

جَرْدَاءَ صَلْعَاءَ لَمْ يُبْقِي الزَّمَانُ لَهَا إلاَّ لِسَانًا مُلِحًا بالمَلاَمَاتِ

لَطَمْتُهَا لَطْمَةً طَارَتْ هَامَتُهَا عن صَلعةٍ ليس فيها خَمْسُ شَعْرَاتِ

كأنها بَيْضَةُ الشَّارِي إذا بَرَقَتْ بالمَارِق الضَّنْكِ بين المشرفيات

لها حروف نَوَاتٍ في جوانبها كقسمة الأرض حيزت بالتخوصات

وكاهل كَسِنَامِ العَيْنِ جرده طول السّفار وإلحاح القتودات.

ويصور أحمد بن نعيم إحدى النساء تصويرا هزليا ساخرا يذكرنا بصور ابن الرومي فيقول: (3)

كأن كلتا صفحتي وجهها ركبتا من كوبتي نَافِخِ

(1)- ابن بسام الشنتيري، الذخيرة، ص 1/1/557،558.

(2)- ابن الكتاني، التشبهات من أشعار أهل الأندلس، تح: احسان عباس، دار الشروق، بيروت، 1981، ص245،246.

(3)- المرجع نفسه، 246.

لو كنت نبْتًا كنت من حَرْمَلٍ أو أكلا كنت من الكَالِخِ

أما ابن خفاجه فهو يهجوا ذلك الصنف من النساء الذي يستنزف بالزينة والحلي لإخفاء أخلاقهن وطباعهن الرديئة الشاذة فيقول: [1]

أنا بكى الدّر فوق حَالِيَّةٍ حلى بها العقد شرَّ ما حلى

تُرى بها ما يمرُّ من خلق مخبأ تحت منظر يَحْلَى

قد راق مرأى وساء مختبر أ هل ترى أزهرت بها دَفْلَى

ويتوجه بعض الشعراء عن هجاء آبائهم وإخوتهم على شاكلة علي بن بسام الذي يصفه صاحب الذخيرة بأنه كان يافعة زمانه، لم يسلم من هجائه أمير ولا وزير من أهل بيته صغير ولا كبير،[2] وقد اشتهر بهجائه المقنع في أبيه وأخيه مما جعل ابن بسام يحجم عن ذكره.

ونجد الأعمى المخزومي يهجو ابنه هجاء حادا فينقته بجلافة الطبع وكلال الذهن وسوء الخلق ويتندر عليه في أسلوب لاذع فيقول: [3]

الحَقُّ أبلجٌ ليْسَ أَنْتَ وَحَقٌّ من أحبابك الأخْلَاقُ مِمِنْ يُفْلِحُ

لا تهتدي بفَضِيلَةٍ، لا تدرِ عِوَى بِمَلَامَةٍ، لا أنْتَ مِمَنْ يَصْلُحُ

يزداد عقلك ما كَبُرْتَ تُنَاقِص وتَلِجُ في صَمِيمِ إذا ما تُنْصَحُ

أكل وسلح كل حين لا ترى لو أَهَمْنَا ما دُمْتَ حَيًا تَطْمَحُ

أسخنت عين المُحِبِ ابن عميرة ولقد تَعِزُّ عُيُونَهُ لَوْ تُذْبَحُ.

(1)- ديوان ابن خفاجة، تح: السيد مصطفى غازي، الاسكندرية، 1960، ص151.

(2)- ابن بسام الشنتيري، الذخيرة، ص 1/1/ص143.

(3)- ابن سعيد، المغرب في حلة المغرب، ص 1/229.

الفصل الثالث: الآليات الفنية المساعدة في إبراز اللّغة الشعرية في شعر الهجاء

- ❖ اللّغة الشعرية

1- الاقتباس

2- التضمين

3- التكرار

4- التشبيه

اللغة الشعرية

1- الاقتباس

إنّ الاقتباس عند البلاغيين أحد الفنون البديعية، وأول من وضع هذا المصطلح فخر الدين الرازي (ت 606هـ)[1]، وكان معروفا قبل الرازي باسم التضمين.

والاقتباس – نثرا كان أو شعرا- وهو شيئا من القرآن أو الحديث، من غير دلالة على أنه منهما أي بأن يكون خاليا من الأشعار بذلك، والاشعارية كأن يقول: قال الله كذا، أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا يحسن أن يمهد للمقتبس [بفتح الباء] بحيث يكون مندمجا في الكلام اندماجا تاما، حتى يصير من كلام المقتبس نفسه.

والاقتباس حقيقة: أخذ القبس –بفتحتين- وهو الجذوة من الجمر، يقال: قبس واقتبس.

وهجئ (فعلت) و(افتعلت) بمعنى واحد معروف في اللغة ومنه قولهم: بنيت واتبنيت وحقرت واحتقرت.[2]

ونجد أن من أهم الاقتباسات التي جاءت في شعر الهجاء الأندلسي اقتباسات كثيرة من القرآن الكريم كقول الرندي في قوله في أحد الثقلاء:[3]

تزلزلت الأرض زلزالها فقلت لسكانها مالها

فقَالُوا أَتَانَا أَبُو خَالِدٍ فأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا

(1)- عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، الاقتباس أنواعه وأحكامه من القرآن الكريم والحديث، بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، مكتبة دار المناهج، 1425هـ، ص13.

(2)- نهاية الإيجاز: الفخر الرازي، تح: بكرى شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985م، ص288.

(3)- محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي الشاعر الأندلسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ،1976 ص78.

وكذلك قول أبي عامر بن الأصيل:[1]

يُحْسَدُ فِرْعَوْنُ على قَوْلِهِ "وهذه الأَنْهَارُ من تَحْتِي".

ومن آيات التهديد والوعيد، التي أتى بها شعراء في شأن المتخاذلين في الجهاد

في سورة الحشر آياتٌ مُفَصَّلَةٌ في شَأْنِكُمِ أنزلت لم تعدكم عددا[2]

نَعَمْ وفي الكَهْفِ في العشرين خاتمة نَقُض عليكم بأن لا تُفْلِحُوا أبدَا.

كما وصف بعض الشعراء الهجائيين الاقتباس من الحديث النبوي الشريف كقول ابن سهل، يشير إلى الحديث المشهور: " امرؤ القيس صاحب لوء الشعراء إلى النار"[3]

أيَا مُتَطَفِلاً في الشِّعْرِ يَبْدُو على وِجْنَاتِهِ طِفْلث المَسَاءِ

إذَا الضَّلِيلُ يَوْمَ الحَشْرِ وَافَى قُلْتُ بِدَاخِلٍ تَحْتَ اللِّوَاءِ.

ويقتبس ابن ياسمين حديثا في قول: [4]

شَاطِبَةُ قَرْيَةٍ ضَنِينَةٍ لَيْسَتْ لِمَنْ أُمَّهَا معينة

تهتضم الطِّيبَ اهْتِضَامًا وتَأْنَفُ الدَّهْرَ أَنْ تُعِينَهُ

والخُبْثُ المُحَصَّنُ تُطْفِيهِ ضدا لما جاء في المدينة

وقد وظف الهجاءون الاقتباس بغرض ليزيد الكلام حلاوة، ويكسبه رونقا وجمالا وطلاوة، وكذلك لتحسين الكلام.

---

(1)- جريدة القصر وجريدة العماد، الغصر الأصفهاني (قسم شعراء المغرب)،تح: محمد المرزوقي وآخرين، تونس 1971، ص311.

(2)- ابن عذاررري، البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب، تح: هويس مرائدة، تطون، ط1، 1960 ص110.

(3)- ابن عذاري، البيان المغرب، الديوان، ص65.

(4) -صفوان ابن ادريس، زاد المسافر، ص137.

كما نجد اقتباس الهجائيين من القصص القرآنية كقول ابن خفاجة في غلام وجهه في حاجة فيها: [1]

أبطئ في سَعْيِهِ فَحَاكَى فِي حَالَتَيْهِ غُرَابَ نُوحٍ.

ويقتبس ابن صارة إحدى صوره من قصة سليمان فيقول في هجاء شخص قبيح:[2]

كَأَنَّ جِنَّ سُلَيْمَانَ بِنَوَاقِمِهِ بُنْيَانٌ تُدَمَّرُ بِالصِّفَاحِ العُمْدِ.

وأشار إلى تفجير المياه في الصخر في قصة موسى فيقول: [3]

جَاءَ نزر فقبلنا دِرْهَمَ السَّاقِطُ بَدْرَهُ

عَجِبَ النَّاسُ وَقَالُوا كَيْفَ نِيلَتْ مِنْهُ ذَرَّةً

هَلْ رَأَيْتُمْ بَعْدَ مُوسَى أَحَدًا فَجَّرَ صَخْرَهُ.

(1)- ابي كتان، التشبهات، ص252.

(2)- ابن بسام الشترينيي، الذخيرة، ص2/2/845.

(3)- العماد الأصفهاني، جريدة القصر، ص168.

2- التضمين

بعدما تبين الحد اللغوي لكلمة التضمين، وجب تحديد الحد الثاني من الإطار المفاهيمي للكلمة، الحد الاصطلاحي الذي ذكره ابن هشام، إذ يقول: قد يشربون لفظا معنى لفظ، آخر، فيعطونه حكمه، ويسمى ذلك تضمينا[1].

وما يفهم من كلام ابن هشام:إن اللفظ إذا كان واقعا موقع لفظ آخر، فهذا دليل على أن الأول يتضمن معنى الثاني،وتأكيد ذلك قوله تعالى: "عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا" الانسان. على تضمين (يشرب) معنى يروي، لذلك عداه بالباء.

ويضمن الاعمى المخزومي بيتا شهرا فيقول[2]

لابْنِ القصير مع ابْنِهِ وضَفِيرِهِ حُجَجٌ بِهَا سُوقُ الفُسُوقِ تَقُومُ

أَلْقَاهُ يَوْمًا تَحْتَ أَسْوَدِ حَالِكَ فَبَدَا يُعَاتِبُهُ لِذَا وَيَلُومُ

فأجَابَهُ مَتَعَجِّبًا وَجَوَابُهُ بيتًا على مَرِّ الزَّمَانِ قَدِيمٌ

لا تَنْهَ علىَ خُلق وتأتي بمثله عَارٌ عَلَيْكَ إذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

ويردد ابن الأبار أحد معاني النابغة المشهورة فيقول:[3]

قُلْ لابن شَلْبُونْ مَقَالَ تَنَزُّهٍ غَبْرِي يُجَازِيكَ الْهِجَاءُ فَجَار

إنَّا أَقْسَمْنَا خُطَتَيْنَا بِبِنْتًا وَخَمَلَتْ برة واحْتَمَلَتْ فُجَارَ

(1)- ابن هشان الأنصاري (جمال الدين بن يوسف) مخفي البيب عن كتب الأعاريب، تح: حنا الفاخوري، دار الحيل بيروت، لبنان، ج2، ط،2 1997، ص: 446.

(2)- صفوان ابن ادريس، زاد المسافر، ص118.

(3)- المقري، تفح الطيب، ص3/593.

كما ضمن أيضا الأمثال العربية القديمة كقول أبي حريز محفوظ بن مرعي الشريف في هجاء مرج الكحل: [1]

مَالِي أَرَى شِعْرَ مَرج كحل أَشَامَ مَنْ فَاقَه البَسُوسَ.

3- التكرار

وهو الاجتراد والترديد يحسن في مواضع ويقبح في مواضع أخرى وأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعا فذلك الخذلان أي أنه غير مفيد، ولا يجوز للأديب أن يكرر إلا على جهة التشويش والاستعذاب، أو على سبيل التنويه أو لإحداث نغمة موسيقية" ومعنى ذلك أن التكرار يقع على الألفاظ ويقتصر عليها دون المعاني وتتعدد أغراضه بحسب ما يرمي إليه العديد في توظيفه إليه.[2]

وبرع بعض الشعراء في توظيف التكرار وهو تكرار الكلمة والحرف ويعمد الشاعر إلى تكرار الكلمة في كامل في كامل البيت مثل القول ابن الخطيب وتكراره لكلمة (الفتح): [3]

يا ابْنَ أَبِي الفَتْحِ نَسِيت عكست فَلاَ بِفَتْح أَنْتَ وَلَا ظفر

ونجد تكرار حرف القاف، في قول الأبيض: [4]

وصَدُّهُ عَنْ قِرَاعِ الدَّارِينَ بِهَا قَرْعُ الْقَوَاقِيرِ أَفْوَاهُ الْأَبَارِيقِ.

(1)- صفوان ابن ادريس، زاد المسافر، ص134.

(2)- محمد بوزواوي، معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، 2009م، ص106.

(3)- المقري، نفح الطيب، 5/140.

(4)- صفوان ابن ادريس، زاد المسافر، ص118.

كما يستقل مادة (جرب) المعجمية على اختلاف معانيها ودلالاتها في كل بيت بل في كل بيت كم مرة ليصبح حرف الجيم هو مفتاح القصيدة حيث يقول فيها: [1]

كَأَنَّكَ لَمْ تُجَرِّبْ قَطُّ خُلُقًا ولَمْ تُعْرَفْ بِتَجْرُبَةِ البَالِي

أَنَسِيتَ التّجَارُبَ إِذَا تُجَارِي بِهِنَّ الجُرَيْبَاءَ مَعَ الشَمَالِ

فَلَا تَغْفَلْ عَنْ التَّجْرِيبِ يَوْمًا وَلَوْ أَعْطَيْتَ فِيهِ جِرَابَ مَالٍ

وَجَرِّبْ جَارِيَتَكَ وَاِخْتَبِرْهُ وَجرِّبْ رجلة إن كان قال.

وهنا يأتي التكرار لتسليط النقاط المهمة في البيت والتي يريد أن يوصلها إلى متلقي الشعر.

التورية: وهي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان أحدهما قريب غير مقصود، ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيتوهم السامع أنه يريد المعنى القريب وهو إنما يريد المعنى البعيد، بقرينة تشير إليه ولا تظهره، وتستره عن غير المتيقظ الفطن.[2]

واعتمد بعض الشعراء على عنصر التورية في هجائهم، كقول ابن رضوان المالقي يروي بكلمة (مالك):

لاَ تعْرُجْ عَلَى الجِنَانِ سَكَنِي وَلْتَكُنْ سَاكِنًا بِمَخْزَنِ مَالِكٍ

ويروي بكلمة (العود) التي من معانيها (البعير) في هجاء رجل يلقب بهذا اللقب فيقول:

لَئِنْ عُدْتُ نَادُونِي بَعِيرًا كَمَثَلِهَا فَقُلْتُ لَهُ لاَ تَخْشَ فَالْعَوْدُ أَحْمَدُ

(1)- المقري، نفح الطيب، 4/ص17.

(2)- أحمد عبد المجيد خليفة، بلاغة التورية وأثرها في تأويل الآيات القرآنية، مجلة كلية الآداب جامعة زقازيق، مصر ص 06.

4- التشبيه

التشبيه عند الجارح ومصطفى أمين: "والتشبيه هو بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة".[1]

التشبيه أربعة أركان: المشبه، والمشبه به، الأداة وأداة الشبه.[2]

ومن الشعراء الذين وظفوا التشبيه نجد أبو إسحاق الألبيري حيث يرسم صورة لأحد الترتارين، وفيها يشبه لسانه بجرس أويناقوس برن في إحدى البيع: [3]

وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِمُؤْمِنٍ فِي شَدْقِهِ جَرَسٌ كُنَّا قَوْسُ بِبَيْعَةِ كَافِرٍ.

وهجا عبيد الله بن فرح طفيليا فيشبه اهتداءه إلى موضع الطعام بحاسة الشم القوية عنده بشخص يسير ليلا مهتديا بنجوم السماء: [4]

يَقْتَادُهُ شَمُّ القِتَارِ بِأَنْفِهِ مِثْلَ اِقْتِيَادِ النِجْنِ للْحَيْرَانِ.

وحين يهجو أحد الشعراء أميرا ظالما يتظاهر بالتقوى ويكثر من التسبيح يشبهه بالجزار الذي يردد اسم الله ويتأهب للذبح: [5]

قَدْ يَلِينَا بِأَمِير ظُلْمُ أسنان وسبح

فهُوَ كالجَزَارُ فِيهِمْ يَذْكُرُ اللَهَ وَيَذْبَحُ

وعمد الهجاءون إلى استيحاء صورهم من أجواء الحيوانات تقارنوا بينها وبين مهجويهم في الشكل والهيئة والطبع للتقليل من شأنهم والإزرار بهم ولإظهارهم بشكل هزلي

(1)- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص30.

(2)- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص247.

(3)- الألبيري، ديوانة، ص80.

(4)- ابن الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص245.

(5)- المقري، نفح الطيب، ص6/263.

يدعوا إلى الضحك فبرعوا في هذا الجانب براءة كبيرة فالمخزومي الأعمى يشبه عين شخص أحول بعنزتين تنتطحان: (1)

وتَزُورُ إحدى مُقْلَتَيْهِ لِأُخْتِهَا كأنَّهُمَا عِنْزَانِ تَنْتَطِحَانِ

وهيئة أحد الثقلاء تذكر أبا للفرج الرشاش بصورة الفيل: (2)

مَا إِنْ جَلَسْتُ إِلَى جَلِيسٍ مَرَّةٍ إلاَّ كانَ عَلَيْهِ مِنْكَ الفيل

ويشبه ابن الخطيب ابن أبي الفتح ببغل يدير الطاحونة وهو مغمض العينين: (3)

يَا بَغْلُ طَاحُونَةٍ يَدُورُ بِهَا مُشْتَدُّ السَّيْرِ مُغْمَضُّ الْبَصَرِ

ويهجو اسماعيل ابن بدر مغنية قبيحة الصوت فيتخيل أن كلاباتها رشت في حلقومها ويشبه صوتها بنقيق الضفادع: (4)

فَوَاللَهِ مَا أَدْرَى كَلاَبَاتِهَا رَشَتْ بِحُلْقُومِهَا أَمْ نَقْنَقَتْ بِي ضَفَادِعُ.

وأيضا قول الغزل يهجو امرأة فيشبه صلعتها بيضة المحارب التي تلمع بين صلال السيوف: (5)

كَأَنَّهَا بَيْضَةُ الشَّارِي إِذَا بَرَقَتْ بالمأزق الضَّنْكِ بَيْنَ المشرفيات.

ويبدو هذا الأثر في قول ابن صارة في هجاء شخص قبيح الفم والثنايا فيشبه أسنانه بحد السيف: (6)

(1)- العماد الأصفهاني، جريدة القصر وجريدة العصر، ص2/256.

(2)- ابن الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص247.

(3)- المقري، نفح الطيب، ص5/141.

(4)- ابن الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص245.

(5)- محمد صالح البنداق، يحيي ابن الحكم الغزال، ص185.

(6)- ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، 2/2/ص845.

يَبْدُو لِطَرَفلك منك حين تبصرها سِنٌ كمثل من الصَيْقَلِ الفَرْدِ

واستوصى الشعراء صورهم من واقع حياتهم ومما تحفل به معيشتهم من مظاهر وعادات وتقاليد فابن هديل يشبه تصدل أنف ابن قزمان بقدوم فيقول: (1)

يقرب وجها منك في خَلْقِ قربه كان انهبال الأنف منه قدوم

ويشبه ابن وهبي أنف أحد الأشخاص بعود المستريح كما يشبه وجهه في قبحه وشؤمه في اقبال الرزايا:(2)

فوَجْهٌ مثل اقْبَالُ الرَّزَايَا وأنْفٌ مِثْلَ عُودُ المِتْرَاجِ

ويهجو أحمد بن نعيم امرأة فيشبه انتفاخ وجهها بإحدى آلات النفخ الموسيقية فيقول: (3)

كأَنَّ كِلْتَا صَفْحَتَي وَجْهِهَا رَكِبَتَا مِنْ كُوبَيْ نَافِخٍ

ويشبه عبد الله المفجع أحد أصحابه الثقلاء بنهار الصيف في طوله وما يحدثه في النفوس من ضيق وخمول فيقول: (4)

لنَا صَدِيقٌ مَلِيحَ الوَجْهِ مُقْتَبَلٌ وَلَيْسَ فِي وُدِّهِ نَفْعٌ وَلاَ بَرَكَةٌ

شَبَهْتُهُ فِي نَهَارِ الصَّيْفِ يُوَسِعُنَا طُولاَ ويَمْنَعُ عَنَّا النَّوْمَ والحَرَكَةَ.

كما شبها سورة الطلل والرسوم التي استحضرها سليمان بن عبد الله البردي في قوله:

كَأَنَّ صَرْحِيَّةَ المُؤَهَّلِ وَاقِفٌ على طَلَلٍ مِنْ سَاكِنِي الحَيِّ بَانِد

يُسَائِلُ منه صَامتًا غَيْرَ نَاطِقٍ كَمُسْتَخْبِرٍ جَهْلًا وَرُسُومُ الْمَعَاهِدِ.

(1)- ابن الكتاني، التسبهات من أشعار أهل الأندلس، ص249.

(2)- المرجع نفسه، ص 249.

(3)- المرجع نفسه، ص 242.

(4)- ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح: عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت 1965، ص304.

كما نجد التصوير الرسم القديم أيضا عند ابن الخطيب : [1]

عَفَتْ أَعْلاَمُ أدَبِي وَعِلْمِي بِهِمْ فَبَقِيَّتْ كَالرَّسْمِ الْقَدْيِمِ

ومن أكثر التشبهات القديمة كقول ابن حربون: [2]

فَمَزَقْتُم شملهم في البلاد كَأَنَّهُمْ جُمل أجرب

ويشبه الغزال كاهل امرأة بنسام العيسى الذي أصابه الهزال من كثرة السفر والترحال فيقول: [3]

وكَاهِلٍ كَسِنَامِ العِيسَى جُرْدُهُ طول السِّفَارِ وإلحَاحِ القَتُودَاتِ

وكذلك أحمد بن نعيم يشبهها كأنها نبته حرمل فيقول: [4]

لَوْ كُنْتِ نَبْتَة كُنْتِ من حَرْمَلٍ أو أَكْلًا كُنْتِ مِنْ الكَامِخِ.

ويشبه بن نعيم المرأة بلحرمل لمرارتها عند غضبها أو أكلاً فاسدًا متعفنًا.

(1)- ابن الكتاني، التسبهات من أشعار أهل الأندلس، ص618.

(2)- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة على المستضعفين، ص360.

(3)- محمد صالح البنداق، يحيي ابن الحكم الغزال، ص185.

(4)- ابن الكتاني، التسبهات من أشعار أهل الأندلس، ص240.

خاتمة

خاتمة

وفي ختام بحثنا، ومن خلال دراستنا توصلنا إلى النتائج الآتية:

- إنّ سوق الهجاء الأندلسي كانت رائجة بخلاف ما توهم كثير من الباحثين، فتنوعت موضوعاته وتعددت، ولولا إعراض بعض نقاد الأندلس عن إثبات الهجاء في مؤلفاتهم لظفرنا بقدر كبير من شعر الهجاء.
- كان الهجاء السياسي أكثر اتجاهات الهجاء الأندلسي رواجا وازدهارا لارتباطه بدوافع سياسية فرفضتها ظروف الأندلس، وقد تنوعت موضوعات الهجاء السياسي فكان هناك هجاء الملوك والحكام، وكان الهجاء الاجتماعي يخص المجتمع الانحلال الأخلاقي الّذي ساد آنذاك الوقت وانتشار الرذائل وضعف الوازع الديني.
- اتّسع مفهوم الهجاء الأندلسي وتطوّر تبعا للتطور الحضاري، فلم يعد الهجاء محدودا بنزعة قبلية أو هجاء شخصي، بل اتسع نطاقه فتوزّع بين هجاء سياسي واجتماعي وملاحاة بين الشعراء، وشمل هجاء المدن والأهل والأقارب والمرأة متأثرا بروح الحضارة.
- لم يعمد الشعراء الأندلسيون في هجائهم إلى السب المباشر، بل اتجه كثير منهم إلى رسم الصور الكاريكاتورية السافرة.
- لم يقتصر الهجاء الأندلسي على القصيدة الشعرية وحدها، بل تجاوزها إلى النثر وإلى أشكال أدبية أخرى كالموشح والزجل.
- وجد شعراء أندلسيون قامت شهرتهم على الهجاء الشنتريني.
- لم ينفرد الشعراء وحدهم بفن الهجاء، بل شاركهم فيه شاعرات أندلسيات مثل نزهون ومهجة وولادة وغيرهن.
- ومن أكثر الصور الشعرية التّي تكررت في شعر الهجاء الأندلسي الاقتباس من القرآن الكريم والقصص القرآنية.

- ونجد أنّ التشبيه أكثر ما ركّز عليه في الهجاء الأندلسي.
- والهجاء في الشعر الأندلسي من المواضيع الواسعة "المفتوحة" التّي تبقى تبوح بأسرارها وكنوزها كلّما حقّق ديوان شعر أو مصنّف من المصنفات القديمة، وهو بذلك مازال في حاجة البحث والدراسة في ضوء المعطيات الموفرة والتّي ستحد، وذلك بدراسة الهجائيين فرادى أو مجتمعين في فترة زمنية محددة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المعاجم

1- ابراهيم مصطفى، احمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النّجار، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، ج1، د. ط.

2-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج15، ط4، 2005.

ثانيا: المراجع العربية

1- ابن الآبار، الحلة السيراء، تحقيق: د حسين مؤنس، القاهرة 1963.

2- أحمد بلا فريج وعبد الجليل خليفة، الأدب الأندلسي، تطوان، 1941.

3- أحمد عبد المجيد خليفة، بلاغة التورية وأثرها في تأويل الآيات القرآني، مجلة كلية الآداب، جامعة زقازيق، مصر.

4- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مؤسسة هنداوي، 2019.

5- الألبيري اسحاق، الديوان، تحقيق وشرح: محمد رضوان الداية، دار قتيبة، دمشق، ط2، 1401م 1481م.

6-الأمير عبد اللّه، كتاب التبيان، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1955.

7- ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الذخيرة، ق1م.م 602، تح: إحسان عباس، بيروت، 1979

8- جروح عبدو معتوق، ابن الرومي، بيروت، دار الكتب، لبنان، 1987.

9- حسن جعفر نور الدين، الشريف الرضى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411/ 1990.

10- أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري، اقرأ- الناس بسبنة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966.

11- ابن حزم، رسائله، تح: احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج2، ط1، 1980.

12- ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الاندلس، تح: عبد الرحمان الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965.

13- ابن حيان، المقتبس من انباء أهل الأندلس، تح: محمود مكي، المجلس الأعلى للشرون الإسلامية، القاهرة، 1971.

14- ابن خفاجة، الديوان، تح: مصطفى غازي، الاسكندرية، 1956.

15- ابن خلكان، 333/3.

16- خليل ابراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، جامعة الموصل، 1986.

17- دول الطوائف، 402.

18- ابن زيدون، الديوان، تح: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1979.

19- سامي يوسف أبو زيد، الأدب الجاهلي، دار المسيرة للتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 1432/ 2011.

20- ابن سعيد،اختصار القدر المعنى في التاريخ المحلي، تح: الألباري، القاهرة.

21- سعيد بوقلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 1995.

22- السعيد محمد مجيد، الشعر في ظل بني عبادة، مطبعة النعمان، العراق، ط1، 1972.

23- ابن سعيد، المغرب في حلة المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.

24- السلفي، معجم السفر، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم 216.

25- ابن شرف القيرواني، الديوان، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

26- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة على المستضعفين، تح: عبد الهادي التازي، بيروت، 1954.

27- صفوان بن ادريس، زاد المسافر وغزة محيا الأدب السافر، تح: عبد القادر محداد، بيروت، 1970.

28- صلاح خالص، اشبيلية في القرن الخامس.

29- الضاغط الأمين على الشيء والرقيب، ابن خاقان، مصطفى الأنفس، 164 المقري، نفح الطيب.

30- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة.

31- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: 3/ 113، تح: ج.س. كولان وأ.ليفي بروفينسال، بيروت، ط2، 1980.

32- ابن عذاري، البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب، تح: هويس موائدة، تطوان، ط1، 1960.

33- ابن عذاري، البيان المغرب، تح: حبيب مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1963.

34- عبد العزيز بن عبد الرحمان المنصور، انظر: ابن عذاري، البيان المغرب.

35- أبو عمر عباد، الحلة السيراء، الشركة العصرية للطباعة والنشر، ج2، ط1، 1963.

36- ابن عمار الأندلسي، شعره، تر: الضبي- البغية.

37- عيسى فوزي سعد، الهجاء في الأدب الأندلسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007.

38- ابن الكتاني، التشبيهات من أشعار قبل الأندلس، تح: إحسان عباس، ط، دار الشروق، بيروت، 1981.

39- عبد المحسن عبد العزيز العسكر، الاقتباس أنواعه وأحكامه من القرآن الكريم والحديث، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، مكتبة دار المناهج، 1425هـ.

40- محمد بوزواوي، معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، 2009.

41- محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي، الشاعر الأندلسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1976.

42- محمد مصطفى مدارة، الشعر في القرن 2 هجري، دار المعارف.

43- محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري.

44- محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس.

45- محمد صالح البنداق، يحي ابن الحكم الغزال، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979.

46- محمد عبد اللّه عنان، دول الطوائف منذ قياسها حتى الفتح المرابطي، القاهرة، ط2، 1960.

47- محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن 11 ميلادي/ الخامس هجري، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، 82، تونس، ط1، 1984.

48- المقتضب لابن الآبار، نفح الطيب، تح: ابراهيم الأبياري، ج4.

49- المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صار، بيروت، ج4، 1968.

50- نهاية الإيجاز، الفخر الرازي، تح: بكري شيخ امين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985.

51- ابن هشام الأنصاري (جمال الدين ين يوسف مخفي اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج2، ط2، 1997.

52- هواتو الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللورقي، انظر: ابن خاقان، قلائد العقبان، دار الكتب الوطنية، تونس، 1966.

53- هيكل أحمد، الأدب الاندلسي من الفقتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، مصر.

54- عبد الواحد المراكشي، المعجم في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1978.

55- يونس الطركيسلوم البجاري، المعارضات في الشعر الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

ثالثا: المجلات والدوريات

1- العماد الأصفهاني، جريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب، تح: محمد المرزوقي وآخرين، تونس 1971.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	**أ- ب**
الفصل الأول: ضبط المفاهيم	04 - 21
أولا: مفهوم الهجاء	**4- 7**
1- لغة	4- 5
2- اصطلاحا	6- 7
ثانيا: العوامل المؤثرة في الهجاء الأندلسي السياسي والاجتماعي	**8- 16**
1- العوامل السياسية	8- 13
2- العوامل الاجتماعية	14- 16
ثالثا: صور الهجاء الأندلسي	**17**
1- التأثر بالبيئة	17- 19
2- التأثر بالثقافات الجديدة	19
3- التأثر بالموروث القديم	20
4- الصور المعنوية	21
الفصل الثاني: اتجاهات الهجاء الأندلسي	**23 - 56**
أولا: اتجاهات الهجاء السياسي الأندلسي	**23- 41**
1-1- هجاء الملوك	23- 27
1-2- هجاء الحكام	28- 34

1-3- هجاء الفقهاء	35- 37
1-4- هجاء القضاة	38- 41
ثانيا: اتجاهات الهجاء الاجتماعي الأندلسي	**42- 56**
2-1- هجاء الرذائل الخلقية	42- 46
2-2- هجاء المرأة	46- 49
2-3- هجاء المدن	50- 53
2-4- هجاء الأهل والأقارب	54- 56
الفصل الثالث: الآليات الفنية المساعدة في إبراز اللّغة الشعرية في شعر الهجاء	**58- 67**
اللّغة الشعرية	58
1- الاقتباس	58- 60
2- التضمين	61- 62
3- التكرار	62- 63
4- التشبيه	64- 67
خاتمة	69- 70
قائمة المصادر والمراجع	72-77
فهرس الموضوعات	79- 80

الملخص

لقد عبّر الهجاء الأندلسي على مدى الانحلال الّذي آل إليه المجتمع الأندلسي في فترة الطوائف وفساد الملوك والحكام، وهذا ما اهتمّ بع العديد من الشعراء مثل المقري وابن زيدون وولادة بنت المستكفي، وأظهر لنا سوء الأخلاق والكره الذّي ساد في تلك الفترة وقد تضمن خطة منهجية قسمت إلى مدخل وفصلين تطبيقيين، حيث خصص المدخل لضبط مفهوم الهجاء والعوامل المؤثرة فيه وصور الهجاء الأندلسي، وأفردنا الفصل الأول لدراسة اتجاهات الهجاء الأندلسي، أمّا الفصل الثاني فتحدثنا على فنيات المساعدة في إظهار الهجاء الأندلسي، وقد اعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفي للكشف عن خفايا البحث.

Summary

The Andalusian's satire has described the widespread of moral decay and corruption of kings and rulers between the Andalusian's society during the period of sects; therefore, many of poets like Elmakari, the son of ibn zaydon and wlada- the daughter of El Motakchifi, they reveal to us the bad image about ethical decay and hatred which remain during this period; so that this research paper includes methodology and plan divied into general introduction and practical chapter. The difinition of satire, the circumstances which may influence it and the image of Andalusian's satire; moreover, the first chapter talks about trends of Andalusian's satire and concerning the second chapter it is about the helping technique which could reveal the Andalusian's satire. In order to achieve of that we have depend on the descriptive method to discover the mysterious of this research.